شرح الأربعين النبوية

(٣٠-٤٠)
حدود الشريعة

بقلم

محسن الحسيني الجلالي

تحقيق

محمد جواد الحسيني الجلالي

The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0396

الطبعة الثامنة
١٤٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

متن الأربعين النبوية

روى الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (المتوفى سنة ٣٨١هـ) في كتاب الخصال بإسناده عن النبي ﷺ قال: «من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة، حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، أخبرني ما هذه الأحاديث؟ فقال ﷺ:

١- أن تؤمن بالله وحده لا شريك له.

٢- وتعبده ولا تعبد غيره.

٣- وتقيم الصلاة بوضوء سابغ في مواقيتها، ولا تؤخرها؛ فإن في تأخيرها من غير علة غضب الله عز وجل.

٤- وتؤدي الزكاة.

٥- وتصوم شهر رمضان.

٦- وتحج البيت إذا كان لك مال وكنت مستطيعاً.

٧- وأن لا تعق والديك.

٨- ولا تأكل مال اليتيم ظلماً.

٩- ولا تأكل الربا.

١٠- ولا تشرب الخمر ولا شيئاً من الأشربة المسكرة.

١١- ولا تزن.

١٢- ولا تلوط.

١٣- ولا تمشي بالنميمة.

١٤- ولا تحلف بالله كاذباً.

١٥- ولا تسرق.

١٦- ولا تشهد شهادة زور لأحد، قريباً كان أو بعيداً.

١٧- وأن تقبل الحق ممن جاء به، صغيراً كان أو كبيراً.

١٨- وأن لا تركن إلى ظالم وإن كان حميماً قريباً.

١٩- وأن لا تعمل بالهوى.

٢٠- ولا تقذف المحصنة.

٢١- ولا تراءِ؛ فإن أيسر الرياء شرك بالله عز وجل.

٢٢- وأن لا تقول لقصير: يا قصير، ولا لطويل: يا طويل، تريد بذلك عيبه.

٢٣- وأن لا تسخر من أحد من خلق الله.

٢٤- وأن تصبر على البلاء والمصيبة.

٢٥- وأن تشكر نعم الله التي أنعم بها عليك.

٢٦- وأن لا تأمن عقاب الله على ذنب تصيبه، وأن لا تقنط من رحمة الله.

٢٧- وأن تتوب إلى الله عز وجل من ذنوبك، فإن التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له، وأن لا تصر على الذنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئ بالله وآياته ورسله.

٢٨- وأن تعلم أن ما صابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك.

٢٩- وأن لا تطلب سخط الخالق برضا المخلوق.

وأن لا تؤثر الدنيا على الآخرة؛ لأن الدنيا فانية والآخرة باقية.

وأن لا تبخل على إخوانك بما تقدر عليه.

٣٠- وأن تكون سريرتك كعلانيتك، وأن لا تكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة، فإن فعلت ذلك كنت من المنافقين.

٣١- وأن لا تكذب وأن لا تخالط الكذابين.

٣٢- وأن لا تغضب إذا سمعت حقاً.

٣٣- وأن تؤدب نفسك وأهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة.

٣٤- وأن تعمل بما علمت، ولا تعاملن أحداً من خلق الله عز وجل إلاّ بالحق.

٣٥- وأن تكون سهلاً للقريب والبعيد، وأن لا تكون جباراً عنيداً.

٣٦- وأن تكثر من التسبيح والتهليل والدعاء وذكر الموت وما بعده من القيامة والجنة والنار.

٣٧- وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه.

٣٨- وأن تستغنم البرّ والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات.

٣٩- وأن تنظر إلى كل ما لا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين.

(أ) ولا تمل من فعل الخير.

(ب) وأن لا تثقل على أحد.

(ج) وأن لا تمن على أحد إذا أنعمت عليه.

٤٠- وأن تكون الدنيا عندك سجناً حتى يجعل الله لك جنّة.

فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها وحفظها عني من أمتي دخل الجنة برحمة الله، وكان أفضل الناس وأحبهم إلى الله عز وجل بعد النبيين والوصيين، وحشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً».[1]

وإليك شرح الأحاديث المذكورة في فصول:

---

١ الخصال: ٥٤٤، الحديث ١٩.

النفاق

قال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾[1]

النفاق داء اجتماعي يتسبب منه كثير من الشرور والآثام والفساد والاجرام، وهو لقاء الناس بوجهين، ويحدده قوله تعالى: ﴿إذا لقوا الذين ءآمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزون﴾.[2]

وفي الحديث: إن «علامة المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».[3]

فالمنافق لا يهمّه صدق الحديث ولا إخلاص له في العمل ولا يتورّع عن البهتان ولا يجتنب العدوان والغيبة ولا يقصد الّا المراوغة ومن بعد ذلك الغدر والخيانة، لذلك إذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان الأمانة، لأنّه لاشرف له ولا ثقة به، وما أقبحها من صفات ذميمة تقوّض الثقة التي بها حياة الإنسان.

وقد ابتلى الإسلام في كل أدواره تقريباً بالمنافقين الذين حاربوا في الظلام وسعوا في الأرض فساداً، ففي عصر الرسول الأعظم كانت مواقفهم تهدف وَأْدَ الإسلام في المهد لولا عناية الله ونصره الدائم في بقاء الفكر الإسلامي حياً وقرآنه منتشراً مدوياً، وقد تعّرض القرآن الكريم لتهديدهم في مختلف السور وخصّ سورة واحدة بهم هي[4] وهي من السور المدنيّة حيث كثر المنافقون، وكلّما تقدم الإسلام وذاع صيته اشتد نشاط المنافقين في الاستهانة به وتشويه معالمه وزرع الأشواك في طريقه، لذلك أصبح موقف الإسلام

---

(١) النساء: ١٤٥.
(٢) البقرة: ١٤.
(٣) قرب الاسناد: ٢٨، ح ٩٢.
(٤) سورة المنافقين (رقم ٦٣).

تجاههم شديداً فقال سبحانه: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثم لا يجاورونك فيها الّا قليلاً ملعونين أينما ثُقفُوا أُخذوا وقتّلوا تقتيلاً﴾.(١)

وكان لهذا التشديد أثره كما كان من الطبيعي هذه الشدة؛ لما ترتّب على مواقفهم الخيانيّة من الإضرار بالإسلام والمسلمين حاضراً ومستقبلاً، وعلى سبيل المثال التاريخي نذكر:

١ ـ تحالفهم مع اليهود سرّاً.

٢ ـ بناء مسجد الضرار لشق وحدة المسلمين.

٣ ـ نقل الأكاذيب على لسان الرسول ﷺ حتى قال ﷺ: «أيها الناس قد كثرت عليَّ الكذّابة، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوء مقعده من النّار».(٢)

وكان موقفهم في حادثة (أحد) وفرارهم من الحرب وهم يدّون بثلث الجيش بزعامة عبدالله بن أُبيّ، موقفاً مخزياً جداً لا يزال التاريخ الإسلامي يذكره كنقطة سوداء، وليس هذا الموقف الوحيد، بل هناك مواقف أخرى نستنبط منها بوضوح أنّ الذين دخلوا في الإسلام لم يكن الجميع اعتنقوه طوعاً ورغبة، بل كان هناك المنافقون الذين امتلأت قلوبهم من الأحقاد ولم ينسوا صرعى آباءهم وأجدادهم في غزوات الرسول ﷺ، وينبغي للمحدّثين و خاصة أن يقفوا أمام أحاديث هذه الطائفة ورواياتهم موقف الشك والريبة، فكما لا يمكننا أن نغمض أعيننا عن دورهم بعد وفاة النبي ﷺ في تمييع المفاهيم الإسلامية عملياً و تغيير سيرة الإصلاح الإسلامي، كذلك لا يمكننا التسامح في موقفهم بالدسّ في التراث الإسلامي لتشويه معالمه نظرياً، بل قد يكون هذا أشدّ أثراً وأكثر ضرراً.

---

(١) الأحزاب: ٦٠ـ٦١.

(٢) الكافي ١: ٦٢، ح ١.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «من خالفت سريرته علانيته فهو منافق».[١]

٢ ـ الرسول ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه كان منافقاً وإن صام وصلّى وزعم انه مسلم: من إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف».[٢]

٣ ـ الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً».[٣]

٤ ـ الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبداً همزة لمزة، يقبل بوجه ويدبر بآخر».[٤]

٥ ـ الصادق عليه السلام: «من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار».[٥]

وما أخطر النفاق من داء على المجتمع في فساد الضمير وضعف الإيمان وبناء المجد الكاذب وانعدام الثقة والأمانة التي بها قوام الحياة.

---

(١) مصباح الشريعة: ١٤٦.
(٢) الكافي ٢: ٢٩١، ح ٨.
(٣) الكافي ٢: ٣٤٣، ح ٢.
(٤) ثواب الاعمال: ٢٦٩.
(٥) الكافي ٢: ٣٤٣، ح ١.

الصدق والكذب

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقّوا الله وكونوا مع الصادقين﴾.[1]

وقال الله: ﴿هذا يومُ ينفع الصادقين صدقهم لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾.[2]

الصدق: رابطة الثقة في المجتمع في المجالين الاجتماعي والاقتصادي، والصدق: الخلق الوحيد الذي به استقرار الثقة بين الأفراد وبالنتيجة الأمة، وبدونه يكون التفكّك فيها من القاعدة إلى القمّة.

والإنسان بفطرته صادق، قال الباقر عليه السلام: «لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية»[3] والحنيفية هي الفطرة، والكذب مهما أفاد الإنسان، لكنها فائدة مؤقتة تجلب ضرراً دائماً هو سلب الثقة التي بها قوام الحياة الاجتماعية، إنّ كل عمل لا يقترن بالصدق فعاقبته الخيبة، فكم من الناس الذي اشتغل بالصناعات المختلفة والتجارات ولم يترك باباً من أبواب المهنة الاّ طرقه والعمل الاّ سلكه لكنه رغم ذلك كله لم ينجح في الحياة نجاحاً يؤهّله للسعادة، لأنّه اتخذ من الكذب طريقاً، فتضاعفت جهوده لكن من دون فائدة، لأنّه مسلوب الثقة، فالصدق فيه خير الدنيا والآخرة.

---

(١) التوبة: ١١٩.
(٢) المائدة: ١١٩.
(٣) مستدرك الوسائل ٨: ٤٥، ح ٩٩٨٨.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «الصدق يهدي إلى البّر والبر يدعو إلى الجنة، ومـا يزال أحـدكم يصدق حتى لا يبقى في قلبه موضع ابرة من كذب حتى يكون عند الله صادقاً».(١)

٢ ـ الرسول ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك به مصدق، وأنت له به كاذب».(٢)

٣ ـ الامام علي عليه السلام: «ألا فاصدقوا، فإنّ الله مع الصادقين، وجانبوا الكذب، فإن الكذب مجانب لإيمان، الا إنّ الصادق على شفا منجاة وكرامة، ألا وانّ الكاذب على شفا مخزاة وهلكة».(٣)

٤ ـ الصادق عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ لم يبعث نبياً الّا بصدق الحديث وأداء الأمانة».(٤)

٥ ـ الصادق عليه السلام: «من صدق لسانه زكي عمله».(٥)

٦ ـ الصادق عليه السلام: «لاتغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم ؛ فإنّ الرجل ربـما لهـج بـالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة».(٦)

وكفى بالصدق شرفاً أن يكون سبباً لراحة الضمير واطـمئنان النـفس ورفـع مـنزلة الإنسان في المجتمع وأن يكون الصادق محلاً لثقة الناس ،على العكس من الكذب تماماً.

والكذب:

قال تعالى:﴿إنّما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾.(٧)

الكذب: هو الاخبار بما لا يطابق الواقع في اعتقاد المتكلم، على العكس من الصدق،

---

(١) مستدرك الوسائل ٨: ٤٥٥، ح ٩٩٨٨.
(٢) تنبية الخواطر ١: ١١٤.
(٣) المحاسن ١: ٢٩، ح ٤٣٦.
(٤) الكافي ٢: ١٠٤، ح ١.
(٥) الكافي ٢، ١٠٤، ح ٣.
(٦) الكافي ٢: ١٠٤، ح ٣.
(٧) النحل :١٠٥.

فالصدق من علامات العقل والكمال والشرف، على العكس من الكذب، والصدق به قوام المجتمع وراحة الضمير والشجاعة الأدبية على عكس الكذب، فالكذب يسّبب العداء ويسلب الثقة ويوخز الضمير، ولذلك كان من أقبح الذنوب وأفحشها لما يترتّب عليه من المفاسد التي أهمّها التفرقة والخيانة، قال رسول الله ﷺ: «الكذب رأس النفاق».(١)

وقيل له ﷺ أيكون المؤمن جباناً؟ قال نعم؟ فقيل: ويكون بخيلاً ؟قال ﷺ: نعم فقيل: ويكون كذّاباً؟ قال ﷺ: لا».(٢)

وهذا الحديث يعني أن الإيمان يلازم الصدق في الحديث وينافي الكذب، وقال رجل لرسول الله ﷺ: دلّني على عمل أتقربّ به إلى الله تعالى: فقال ﷺ: «لا تكذب»(٣) وكان ذلك سبباً لاجتنابه عن كلّ معصية؛ لأنّه لم يقصد وجهاً من وجوه المعاصي الاّ وجد فيه كذباً أو ما يدعو إلى الكذب.

قال الإمام علي عليه السلام:«لا يصلح من الكذب جّد ولاهزل، ولا أن يعد أحدكم صبّيهُ ثم لايفي له، إنّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال أحدكم يكذب حتى يقال:كذب وفجر، وما يزال أحدكم يكذب حتى لايبقى في قلبه موضع إبرة صدق، فيسمى عند الله كذّاباً».(٤)

وكان السجّاد عليه السلام يقول لولده: «اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كلّ جد وهزل، فإن الرجل إذاكذب في الصغير اجترأ على الكبير».(٥)

وقال الباقر عليه السلام: «إن الله جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرّ من الشراب».(٦)

وإنّما عبّر الإمام عليه السلام: بأنه شرّ من الشراب لأن شارب الخمر إنما يفعل الشرّ

---

(١) شرح اصول الكافي ١: ٢٥٦.
(٢) الرسائل ١٢: ٢٤٦، ح ١٦٢١٤.
(٣) فقه الرضا عليه السلام: ٢٢.
(٤) امالي الصدوق :٥٠٥.
(٥) تحف العقول: ٢٧٨.
(٦) الكافي ٢: ٣٣٩، ح ٣.

وهومسلوب العقل كالمجنون ،والكاذب إنما يكذب و هو في كمال شعوره، وكلا هما يرتكبان محرماً، بينما الكاذب لايمتنع عن الكذب على الله ورسوله وهذا ما لايفعله الشارب.

وكما نهى الإسلام عن الكذب نهي عن مخالطة الكذابين ومعاشرتهم، فإن للمخالطة أثرها الواضح في اكتساب الأخلاق وعدواها إلى الجليس ،ونعم ما قيل:

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وما حرّم الإسلام الكذب الّا بسبب ما يترتب عليه من المفاسد، فإذا كان الصدق سبباً للفساد كان حكمه حكم الكذب في الحرمة، وبالعكس إذا كان الكذب فاقداً لصفة الفساد كان جائزاً، كما لو كان سبباً في الإصلاح بين المتخاصمين والتأليف بين القلوب وكان ذلك من المصلحة المترتبّة عليه، لذلك جوّز الإسلام الكذب في حالة (الضرورة) و(الإصلاح) .قال الصادق عليه السلام:«ليس شيء ممّا حرمه الله الّا وقد أحله لمن اضطرّ إليه»[١].

قال تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد فلا إثم عليه﴾.[٢]

وقال عليه السلام أيضاً: «كلّ كذب مسؤول عنه صاحبه يوماً الّا كذباً في ثلاثة: رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، أو رجل أصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا، يريد بذلك الإصلاح، ورجل وعد أهله شيئاً وهو يريد أن لايتمّ لهم».[٣]

وقال عليه السلام أيضاً: «الكلام ثلاثة: صدق وكذب وإصلاح بين الناس، قيل له: جعلت فداك ما الإصلاح بين الناس؟ قال: يسمع عن الرجل كلاماً يبلغه نفسه فتلقاه فتقول: سمعت فلاناً قال فيك من الخير كذاوكذا، خلاف ما سمعت منه».[٤]

---

(١) مستدرك سفينة البحار ١ :١٤٩.

(٢) البقرة :١٧٣.

(٣) الكافي ٢:٣٤٢، ح ١٨.

(٤) الكافي ٢: ٣٤١، ح ١٦.

وقال عليه السلام أيضاً: «أيّما مسلم سئل عن مسلم، فصدق وأدخل على ذلك المسلم مضرّة، كتب من الكاذبين، ومن سئل عن مسلم فكذب، وأدخل على ذلك المسلم منفعة، كتب عند الله من الصادقين».(١)

والوجه في ذلك واضح؛ فإن القبح والحسن للصدق والكذب ليس ذاتياً، وإنما باعتبار المصلحة فيهما، فقد يجرّ الكذب للإنسان تمام المصلحة، فإن الكذب في هذا المورد لايكون قبيحاً كما لو ترتب على الصدق تمام الفساد؛ فإنه لايكون حسناً حينئذٍ.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «اجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة».(٢)

٢ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «أقل الناس مروة من كان كاذباً».(٣)

٣ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «إيّاك والكذب، فإنه يسوّد الوجه».(٤)

٤ ـ الامام علي عليه السلام: «أعظم الخطايا عندالله اللسان الكذوب، وشرّ الندامة ندامة يوم القيامة».(٥)

٥ ـ الامام علي عليه السلام: ألا إنّ الصادق على منجاة وكرامة ألا وإنّ الكاذب على شفا مخزاة وهلكة».(٦)

٦ ـ الامام علي عليه السلام: ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخاة الكاذب، فإنّه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدّق».(٧)

---

(١) مستدرك الوسائل ٩: ٩٥، ح ١٠٣٠٢٠.

(٢) مستدرك الوسائل ٩: ٨٨، ح ١٠٣٠١٠.

(٣) مستدرك الوسائل ٩: ٨٨، ح ١٠٣٠١٠. (٤) من لايحضره الفقيه ٤: ٣٩٥.

(٥) انظر كنزالفوائد: ٩٧، الحيحة البيضاء ٥: ٢٤٣.

(٦) المحاسن ١: ٥٢٩ ح ٤٣٦. (٧) الكافي ٢: ٣٤١، ح ١٤.

٧ـ الامام علي عليه السلام: «اعتياد الكذب يورث الفقر».(١)

٨ـ الامام علي عليه السلام: «الصدق أمانة والكذب خيانة».(٢)

٩ـ السّجاد عليه السلام: «اتقوا الكذب الصغير منه والكبير، في كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».(٣)

١٠ـ الباقر عليه السلام: «إن الكذب هو خراب الإيمان».(٤)

١١ـ الباقر عليه السلام: «إن الله عزّوجلّ جعل للشر اقفالاً وجعل مفاتيح الأقفال الشراب، والكذب شرّ من الشراب».(٥)

١٢ـ الصادق عليه السلام: «إنّ ممّا أعان الله على الكذابين النسيان».(٦)

١٣ـ الصادق عليه السلام: «كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكلّ ما سمع».(٧)

١٤ـ العسكري عليه السلام: «جعلت الخبائث كلّها في بيت واحد وجعل مفتاحها الكذب».(٨)

و لنتمّم كلامنا عن الكذب بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يكذب الكاذب الّا من مهانة نفسه».(٩) ولنعم ما قيل:

ما يكذب المرء الّا عن مهانته ... أو فعله السوء أو من قلّة الأدب

وكفى في ذلك ذمّاً حيث يصبح مشوش الخاطر مكدّر الضمير يسخط عليه الناس و لايعتمدون على أقواله ويجتنبون عشرته و معاملته.

---

(١) بحار الانوار ٧٢: ٢٦١، ح ٣٦.
(٢) الخصال: ٥٠٥.
(٣) الكافي ٢: ٣٣٨، ح ٢.
(٤) الكافي ٢: ٣٣٩، ح ٣
(٥) الكافي ٢، ٣٤١، ح ١٥
(٦) معاني الاخبار: ١٥٩.
(٧) بحار الانوار ٧٢: ٢٦٣.
(٨) مستدرك الوسائل ٩: ٨٤، ح ١٠٢٨٢

الغضب والحلم

قال تعالى:﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين﴾.[1]

الغضب حالة نفسيّة توجب هيجان الدم في بدن الإنسان، ويفقد الغاضب بسببها التعقّل ويصبح كالوحش، يعتدي على من دونه ويخافه من فوقه، بل بسبب شدة الانفعال قد يعتدي على ما لا يعقل فيضرب البهائم ويكسر الأشياء إذا استعصى عليه أمرها، وإذا اشتدّ الغضب سمي(الغيظ).

وهو ينشأ من ضعف النفس والعجلة في الأمر والترف في الحياة، وليست حالة اضطرارية، بل هي صادرة عن الوعي والاختيار، ويتبع مدى اهتمام الإنسان بالأسباب المثيرة إيّاه كالكلام البذيء أو الفعل المنافي للأدب وما شابه، وكلما ازداد الاهتمام بالسبب ازداد الغضب. وكفى الغضب ذمّاً أنّه حالة شبه حالة المجانين.

وفي الحديث: «إن أوّله جنون وآخره ندم» [2] وأوّل ما يجرّ الغاضب الضرر على نفسه والأذى قبل غيره، فيخرج عن شعوره كالمجنون تماماً ولا يمتنع عن الضرب والشتم والسلب والنهب.

ويسمى أيضاً (الحدّة) قال الإمام علي عليه السلام: «الحدّة نوع من الجنون الّا أن صاحبها يندم ،فإن لم يندم فجنون مستحكم».[3]

وما أقبحه من حالة تؤذي صاحبها ولا تحلّ المشاكل بل تزيدها اشكالاً، ولو تصوّرت هيئة الغاضبين وما هم عليه من الاضطراب وتطاير الشرر من عيونهم لكانت هيئة الجنون

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) عيون الحكم والمواعظ :٩٦.

(٣) بحار الانوار ٧٣: ٢٦٦، ح ٢١.

بالضبط، لذلك قيل:«إذا غضبت فأسرع إلى النظر إلى المرآة» فتعرف أنها حالة شاذة لاينبغي للعاقل أن يكون عليها، فإنها حالة شيطانية».

وقد ورد عن الصادق عليه السلام: «لو قال أحدكم إذا غضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غضبه».(١)

وينبغي أن يتذكّر عواقب الغضب الوخيمة، فإنه سوف يولد عداوة قد تكون أشدّ ضراوة وقسوة في الدنيا والآخرة و يفوّت على الإنسان رضى الله تعالى الذي هو أبصر بالعيوب وأقدر على ذلك. فينبغي للإنسان أن يتأمّل ويعرف أن الذي يتكلّم بما لاينبغي أويعمل ما لاينبغي قد يقصد حصول الغضب منك لغرض الانتقام منك أو الحسد، أوتفويت وقت منك يصدّك عن أعمالك التي تتقدم بها في الحياة، فأنت إذا غضبت أعنته على الإساءة الىٰ نفسك وإن تركته وشأنه هدمت أساس العداء عليك ،بل ربما جلبت ودّه وجدّد لك عهداً.

قال سبحانه:﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميم﴾.(٢)

والعلاج: إذا حصلت لك حالة الغضب وأردت تهذيب نفسك من هذه العارضة القبيحة فعليك الانتقال من الحالة التي جاءك الغضب وأنت عليها إلى حالة أُخرى ،فلو كنت قائماً فاجلس وبالعكس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:«فأيما رجل غضب على قوم وهوقائم فليجلس من فوره ذلك، فإنّه سيذهب عنه رجز الشيطان، وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسّه فإن الرحم إذا مسّت سكنت».(٣)

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول صلى الله عليه وآله:«الغضب يفسد إلايمان كما يفسد الخلّ العسل».(٤)

---

(١) الدعوات للراوندي :٥٢،ح١٣٢.
(٢) فصلت :٣٤.
(٣) الكافي ٢:٣٠٢،ح٢.
(٤) الكافي ٢:٣٠٢،ح١.

٢ ـ الرسول ﷺ:«ثلاث من كنّ فيه استكمل خصال الإيمان: إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعدّ ماليس له».(١)

٣ ـ قال رجل للنبي ﷺ :يارسول الله علّمني عملاً لايحال بيني وبين الجنة؟ قال ﷺ:«لا تغضب، ولاتسأل الناس شيئاً، و ارض للناس ما ترضى لنفسك».(٢)

٤ ـ الرسول ﷺ:«من كفّ غضبه عن الناس كفّ الله عنه عذاب يوم القيامة».(٣)

٥ ـ الرسول ﷺ:«لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكّر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم».(٤)

٦ ـ ونهى ﷺ عن الأدب عند الغضب .(٥)

٧ ـ وسئل الامام علي عليه السلام: من أحلم الناس ؟فقال عليه السلام:«الذي لايغضب».(٦)

٨ ـ الباقر عليه السلام: «أيّ شيء أشّر من الغضب، إن الرجل إذا غضب يقتل النفس ويقذف المحصنة».(٧)

٩ ـ الصادق عليه السلام: «الغضب ممحقة لقلب الحكيم».(٨)

١٠ ـ الصادق عليه السلام:«من لم يملك غضبه لم يملك عقله».(٩)

١١ ـ الصادق عليه السلام:«الغضب مفتاح كلّ شرّ».(١٠)

والحلم والغضب حقيقتان متضادّتان إذا الحلم هوضبط النفس عن التعدّي عند الغضب، وللغضب أسبابها الخبيثة من حبّ الانتقام والحسد والحقد، على الضد من الحلم ،فإنه دليل على الصفاء وحسن النية والفطنة ورجحان العقل، وهو أيضاً تملك لزمام الإرادة وتحكّم في العاطفة، وبذلك يتجنّب الحليم من الشّر لنفسه و المجتمع، وهدى

---

(١) الكافي ٢: ٣٩،ح ٢٩.
(٢) بحار الانوار ٧٣: ٦٤،ح ٨.
(٣) الكافي ٢: ٣٠٥،ح ١٥.
(٤) تحف العقول : ١٤.
(٥) الكافي ٧: ٢٦٠،ح ٣.
(٦) أمالي الصدوق : ٤٧٨.
(٧) الاختصاص : ٢٤٣.
(٨) الكافي ٢: ٣٠٥،ح ١٣.
(٩) الكافي ٢: ٣٠٥،ح ١٣.
(١٠) الكافي ٢: ١٠٣،ح ٣.

السُّنَّة في مدحها كثير:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «احتمل ممّن هوأكبر منك، وممّن هو أصغر منك، وممّن هو خير منك، وممّن هو شرّ منك، وممّن هو فوقك، وممّن هو دونك، فإن كنت كذلك باهى الله بك الملائكة».(١)

٢ ـ وقال ﷺ: «من حلم ساد، ومن تفهّم ازداد».(٢)

٣ ـ الامام علي عليه السلام: «أوّل عوض الحلم عن حلمه أنّ الناس أنصاره على الجاهل».(٣)

٤ ـ الامام علي عليه السلام: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك».(٤)

٥ ـ السّجاد عليه السلام: «مامن عبد كظم غيظاً الّا زاده الله تعالى عزاً في الدنيا والآخرة».(٥)

٦ ـ الرضا عليه السلام: «لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً».(٦)

٧ ـ الرضا عليه السلام: «من صبر على ماورد عليه فهوالحليم».(٧)

والحلم هو أفضل عقوبة للمعتدي، وقد سمع أميرالمؤمنين رجلاً يشتم كثيراً وقد رام قنبر أن يردّ عليه، فناداه عليه السلام: «مهلاً يا قنبر، دعْ شاتمك مهاناً، تُرضي الرَّحمٰن وتسخط الشيطان وتعاقب عدوّك، فو الذي خلق الجنة وبرىءَ النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه».(٨)

وكفى الحلم شرفاً إنّه تنبيه للمعتدي بالأدب في حين أنه خُلُق جميل وعلامة العقل والكمال.

---

(١) مستدرك الوسائل ١١: ٢٩٢، ح ١٣٠٦٠.

(٢) تحف العقول: ٨٠.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٤٧، الحكمة ٢٠٦.

(٤) نهج البلاغة ٤: ٢١، الحكمة ٩٤.

(٥) الكافي ٢: ١١٠، ح ٥.

(٦) الكافي ٢: ١١١، ح ١.

(٧) الاختصاص: ٢٤٦.

(٨) مستدرك الوسائل ١١: ٢٩١، ح ١٣٠٥٧.

التربية والأدب

قال تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد﴾.[1]

كلمة (الأدب) تعني (التربية) فهما بمعنى واحد، والإسلام في تشريعاته يعني بالتربية بمختلف وجوهها، و لاتختلف صور التربية من الاهتمام جسمياً كان كما في تشريعه النظافة والرماية، أو ثقافياً بالعلم والكتابة، أو روحياً بالعبادات والطاعات.

كما ويحدد مسؤولية التربية زمنياً حتى بلوغ الواحد والعشرين عاماً.

ففي الحديث: «دع ابنك يلعب سبع سنين، و يؤدّب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح و الّا فانه ممن لاخير فيه».[2]

وبعد هذا الحد تكون المسؤولية على عاتق الإنسان نفسه في علاقاته سواء في ذلك :

١ـ بالنسبة إلى نفسه .٢ـ بالنسبة إلى الأسرة والبيت. ٣ـ وبالنسبة إلى المجتمع القومي أوالإنساني.

وإليك لمحة عن نظرة الإنسان إليها:

أولاً ـ حرية الفرد :

تعتبر الحرية المبدأ الأول في حياة الإنسان، وقد كفل الإسلام هذه الحرية للفرد وآمنه من أيّ اعتداء على النفس أوالمال أوالعرض شريطة أن لاتكون حريته على حساب حرية الآخرين، ولا يستلزم اعتداء على غيره، ومنح الفرد الحرية الشخصّية في أوسع

---

(١) التحريم: ٦.

(٢) من لايحضره الفقيه ٣: ٤٩٤، ح ٤٧٤٣.

مفهومها، سواء في ذلك الحقوق السياسيّة والمدنيّة سواء في العقيدة والرأي والعلم والمالية و غيرها، وتتجلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم من آيات عديدةٌ، منها قوله تعالى:

١ ـ ﴿لاإكراه في الدين﴾[١]

٢ ـ ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[٢]

٣ ـ ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها﴾.[٣]

وكذلك في كافة التشريعات الإسلامية وخاصة التشريعات الناهية عن المحرّمات كما في تحريم الغيبة والنميمة والأذى والمنّ والسخرية و غيرها.

كما وضع الإسلام أعظم الأساليب التربوية لهدف تهذيب الضمير الإنساني وتربية النفس ورعاية الرقابة الإلٰهية في التشريعات الواجبة من الصلاة والزكاة والصوم والحج، وكذلك اعتنى الإسلام بالفرد باعتباره اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، ومن يعجز عن إصلاح نفسه فلا بد أن يعجز عن إصلاح المجتمع ؛ لذلك اهتم بفرض العبادات والتشديد على تاركيها لتقوّي صلة الإنسان بنفسه عن طريق التقوى التي هي عبارة عن امتثال الأمر الإلٰهي واجتناب النهي الإلٰهي وليس ما وراء ذلك شيء، بل أباح الإسلام التمتع بكافة الطرق المشروعة في الحياة طبعاً من غير إسراف أو تقتير.

قال تعالى:﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطّيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾.[٤]

وقال تعالى:﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾.[٥]

نزلت هذه الآية لمّا جاء بعض المسلمين إلى رسول الله يرون التقرب إلى الله بتحريم

---

(١) البقرة: ٢٥٦.
(٢) البقرة: ١٩٤.
(٣) النور: ٢٧.
(٤) الأعراف: ٣٢.
(٥) الفرقان: ٦٧.

النساء والطّيبات مع الالتزام بالقيام والصيام، فنهاهم الرسول ﷺ قائلاً:«لكني أصوم وأفطر واصلي وأنام وأتزوّج النساء»[١].

وقال ﷺ:«لا رهبانية في الإسلام».[٢]

ولم يقتصر القرآن في هذا المجال على ذلك بل أمر صريحاً بالانتفاع من زينة الحياة قائلاً: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طّيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إيّاه تعبدون﴾[٣]

وقال تعالى:﴿يا أيها الناس كلوا ممّا في الأرض حلالاً طّيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين﴾.[٤]

وقال تعالى:﴿فكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً واشكروا نعمت الله إن كنتم إيّاه تعبدون﴾.[٥]

وفي نفس الوقت الذي يولّي الإسلام اهتماماً بالتربية ينهى عن اجهاد الجسم بما لايطيقه قائلاً:﴿لا يكلّف الله الاّ وسعها﴾

وقال تعالى:﴿وماجعل عليكم في الدين من حرج﴾.[٦]

وقال أيضاً:﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.[٧]

وحتى في العبادات ـ على أهمّيتها في الإسلام ـ يحكم بان يقصر المسافر في صلاته وكذا المريض يصلّي حسب تمكّنه والمسافر لايصوم في السفر.

وهكذا يكون الإسلام دين الفطرة السليمة يتماشي مع طبيعة الموقف بأحلى صوره من اليسر والسماح.

---

(١) المجموع؛ للنووي ١٦:١٢٦.

(٢) دعائم الاسلام ٢:١٩٣، ح ٧٠١.

(٣) البقرة:١٧٢.

(٤) البقرة:١٦٨.

(٥) النحل:١١٤.

(چ) البقرة:٢٨٦.

(٦) الحج :٧٨.

(٧) البقرة:١٨٥.

ثانياً ـ البيت والأسرة:

الحياة العائلية جزء من الحياة الاجتماعية ولها نظام سماوي أو وضعي تتبعه الأسرة في شؤونها العائلية، حتى يعيش أفرادها في ظلّه آمنين متضامنين عيشة إنسانية تتفق مع الأدب الإنساني، ويؤدي بهم نحو السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة، وينشأ منهم أعضاء صالحين للمجتمع الكبير الذي يتكون من مجموع العائلات والأسر، وقد أشرنا في حديث سابق إلى دور الوالدين وحقوقهما، ونلمح هنا إلى دور الأم ومسؤوليتها الكبيرة في إدارة المجتمع الصغير ومالها من تأثير مباشر في سلوك الأفراد ـ صغاراً وكباراً ـ ونعم ما قيل:

الأُمُّ مـدرسة إذا أعـددتها ... أعددت شعباً طيّبَ الأعـراق

الأُمُّ استاذ الأساتذة الأولى ... شملت مآثرهم مدى الآفـاق

لذلك اهتم الإسلام في اختيار الأم عناية ملحوظة، لأنها المدرسة الأولى التي تربّي الفرد الصالح، والمرّبية الوحيدة التي تستطيع أن تخلق بأفكارها عظماء الرجال وجهابذتهم، ومن هنا حبّذ على الرابطة المقدسة مع المؤمنات ونهي عن نكاح المشركات قائلاً: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾[1] فالمشركة إن أثّرت عقيدتها في الرجل لكانت سبباً في انحرافه وإن لم تؤثر كانت الأسرة مفكّكة عقائدياً لاتجمعها عرق المحبة والوئام وبذلك تنفصم وشائج الأسرة.

وقد شرحَ الإسلام مواصفات المرأة التي ينبغي أن يتخذ معها رابطة الحياة المشتركة كقوله:«اختاروا لنطفكم؛ فان العرق دسّاس»[2]، وكما وقدّم بعض الصفات على بعض في الاختيار، كالدين فالحسب فالجمال فالمال، والركن الركين هوالدين وهو الذي ما تمسّك به إنسان الّا زاده الله عزّاً وشرفاً وخيراً، قال الإمام زين العابدين عليه السلام:«من أراد عزّا بلا

(١) البقرة:٢٢١.

(٢) المحجة البيضاء ٣: ٩٣.

عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته»[١]. ولم يكن ذلك الّا تخوّفاً من انفصام رابطة الحياة المشتركة التي يهدف إليها الإسلام في الزواج.

قال تعالى:﴿ومن آياته أن خلق من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾.[٢]

وهذه سنّة الخالق؛ أذ لم يترك البشر من جنس واحد يعيش في عزلة عن الجنس اللطيف.

مكانة المرأة :

إن الإسلام هوأول من أنقذ المرأة وحرّرها وأعطاها حقوقها الإنسانية التي لم يكن أحد في أي نظام اجتماعي يعترف بها، كالنصف المكمل للإنسان، وكانت المرأة في كل أمم الأرض ـ حتى ذات الحضارة القديمة كالرومان والفرس ـ مسلوبة الإرادة منزّلة بمنزلة الخدم، راضية كانت أم كارهة، كما هي الحال ـ ومع الأسف ـ في بعض المجتمعات المنتسبته إلى الإسلام، ولكن الإسلام رفع شأنها وجعلها بمنزلة النصف المكّمل للإنسان وأنقذها من ظلم الرجال وظلمات الجهل وأعطاها حقّها،فأصبحت شريكة الرجل في الحقوق الأسلامية حيث ينتميان إلى أصل واحد ونفس واحدة.

قال تعالى:﴿يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[٣]

وفرض عليها ـ كالرجال تماماً ـ الفرائض الإسلامية تثبيتاً الحقّ وجودها الإنساني

---

(١) بحار الانوار ٧٨:١٩٢.

(٢) الروم:٢١.

(٣) النساء :١.

ولم يخصهنّ بشيء الّا ما كان لابدّ منه بحكم طبيعتهنّ الخاصة كما يظهر جليّاً من عقد البيعة معهنّ.

قال تعالى:﴿يا أيّها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن ولا أرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهنّ الله إنّ الله غفور رحيم﴾.(١)

وكذلك اختّصها بالتزيّن ولبس الحرير والذهب بما يتلاءم وأُنوثتها، وحكم في ميراثها النصف لما يقع على عاتق الذكر ـ غالباً ـ من أعباء الحياة وتكاليفها مما ليس على البنت، فإنه يعمل ويكدح وينفق على البيت، وإذا تزوّج دفع المهر وأنفق على الزوجة وعلى من يعول من الأولاد والأهل، ولا شيء على البنت فإنها في حياة أبيها غير مكلّفة بإنفاق، وإذا تزوّجت قبضت مهرها لنفسها واحتمل زوجها الانفاق عليها، فالنصف في الميراث تقتضيه روح العدالة في الإرث إذا ما روعيت الاعتبارات المذكورة التي تقتضيها طبيعة كلّ من الجنسين، وبهذا الاعتبار جعل على عاتق الرجل نظام حياة العائلة والقوامة والمسؤولية في النفقة والكسوة والسكنى والتربية وغيرها مما تطلبه الحياة العائليّة، وله الحق في سياسة العنف عند الضرورة في سبيل تطبيق ما هو في العائلة ـ حاضراً أو مستقبلاً ـ وصدّهم عن الضرر الاجتماعي والخلقي والاقتصادي، وهذه المسؤولية واجب من واجبات الأسرة أكّد عليها الإسلام وتقتضيها طبيعة الجنسين، لذلك نجد جميع الملل والأمم تعترف بهذه المسؤولية على عاتق الرجل، ولا يسوغ انكارها أو إهمالها في جميع أدوار التاريخ والمجتمع البشري، وأما المشاكل العائلية فقد قاومها الإسلام من الأساس بتشريعات تبدأ بالحكمين من جانب الزوجين، وتنتهي بآخر الحلول الذي هو الطلاق حيث لا يمكن غيره.

---

(١) الممتحنة:١٢.

والأولاد:

وأطفال اليوم هم رجال الغد وجيل المستقبل،وعليهم تعقد الآمال في الوطن والدين والأسرة، لذلك اهتم الإسلام في بناء العضو الصالح للمجتمع الإنساني والشخصية التي تتحمّل المسؤولية في المستقبل.

قال الإمام الحسن عليه السلام: «إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين[١]» فالطفل أول ما يولد يواجه المحسوسات ويدركها بقدر ما تسمح له قواه الحسّية أن يدرك، فيحبّ ما يحسبه حسناً ويبتعد عمّا يتصوّره قبيحاً، وليست حواسه الباطنة الّا مادة خام خالية من النقش والرسوم والعادات والآداب والتقاليد، وعلى مرّ السنين تؤثر فيه عوامل البيئة والتربية والطقس، وهذه العوامل تبدأ نشاطها من حين الولادة حتى يترعرع الطفل وينمو، ويعتبر عامل التربية أهمّها؛ لأنّ غيره من العوامل تتأثر بالتربية، وتقع مسؤولية التربية على عاتق الأبوين مباشرة، الذين يعتبر الطفل أمانة في عنقيهما، فعليهما رعايته صحيّاً وفكريّاً وماديّاً بغرس روح الفضيلة والأدب فيه وتوجيهها إلى الخير والمشاركة في أعمال البّر حتى يصبح عضواً عاملاً و مفيداً في المجتمع الإنساني.

قال الإمام السّجاد عليه السلام:«وأما حقّ ولدك فتعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا ولّيته من حسن الأدب والدلالة على ربّه، والمعونة على طاعتك فيك وفي نفسه، فمثاب على الإحسان إليه ومعاقب على الإساءة عليه».[٢]

فعلى الوالدين اغتنام أيام طفولة الأطفال حتى لاتضيع أوقاتهم العزيزة وهي أوقات التلقين والتمرّن والتعّود والتوجيه إلى الحياة الأفضل روحيّاً واجتماعيّاً وفكرياً واقتصادياً، فإنّ الطفل ينشأ في أحضان أبويه ويقع عينهُ عليهما ويبدأ في تقليدهما لأنهما أولىٰ الناس به وأقربهم إليه.

---

(١) منية المريد: ٣٤٠.

(٢) الوسائل ١٥: ١٧٥.

قال ﷺ: «كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه أويمجّسانه».(١)

إنّ كل مولود يولد صافي النفس تقيّ القلب ليس له أي انطباع عن أيّ شيء، ولا ميول لأيّ شيء، فهو على الفطرة الخالصة التي شرع الدين عليها، فطرة الله التي فطر الناس عليها من سلامة القلب وسموّ الأخلاق ورفعة النفس.

وتربية الأطفال ينقسم إلى ناحيتين: الناحية المادية، وتختص بالوالد. والناحية المعنوية وهي مشتركة بين الوالدين، لكن أثر الوالدة فيها أكثر وأظهر، ودوام الصفات السامية إنما هو مرتبط بمساعي الوالدين معاً وجهودهما المبذولة في داخل البيت و خارجه، فعلى الوالدين اغتنام الفرص في تربية الطفل وتوجيهه وإلاّ فيتعقبه الندم حيث لاينفع الندم ؛ فإن التربية المادية للأولاد من سنّ الطفولة إلى سنّ الرشد من دون رعاية معنوية أمرٌ طبيعيّ حتى بين الحيوانات الأهلية وحتى الوحوش المفترسة، فقد خلق تعالى عاطفة وشعوراً رقيقاً تحقق هذه كأمر طبيعيّ، وقد اعتنى الإسلام بنظام التربية فكرياً واجتماعياً واقتصادياً للإنسان المكرّم بالعقل والمعرفة؛ لئلا يضيع الجيل الناشيء في متاهات الحياة.

التأديب :

ويرسم الإسلام المنهج الأقوم في السلوك الأفضل الذي ينبغي للآباء أن ينتهجوه مع الأبناء حتى يكون الولد قرّة العين وأمل الحياة وبهجة الناظر؛ فإنه زينة الحياة الدنيا وهم أعظم نعمة تمنّاها الإنسان، قال تعالى:﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملا﴾.(٢)

وهو الذكرى الحسنة للإنسان إن أحسن تأديبه وتربيته ،قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله الاّ من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به وولد صالح يدعو

---

(١) الكافي ٦: ١٣.

(٢) الكهف :٤٦.

له»[١] وإذا كان الولد الصالح أمل كل مسلم وبغية كل مؤمن ورجاء كلّ إنسان لأن الولد صنو أبيه، فينبغي أن يولي اهتماماً بالغاً بعنايته ذكوراً وإناثاً كل حسب طبيعته، قال ﷺ في البنات: «علمّوهنّ سورة النّور ولا تعلّموهنّ سورة يوسف»[٢] وذلك حيث تشتمل الأخيرة على استعراض قصة غرامية بين يوسف وزليخا، بينما السورة الأولى تتضمن الآداب والتوجيهات التي هي أنفع لهنَّ.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «خير أولادكم البنات».[٣]

٢ ـ الرسول ﷺ: «من قبلّ ولده كتب الله له حسنة».[٤]

٣ ـ الرسول ﷺ: «علّموا أولادكم السباحة والرماية».[٥]

٤ ـ الرسول ﷺ: «حقّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأدبه، ويضعه موضعاً صالحاً» وفي حديث آخر: «يحسن اسمه ويعلّمه الكتابة ويزوّجه إذا بلغ».[٦]

٥ ـ الرسول ﷺ: «من ولد له مولود فليؤذّن في أُذُنه اليمنى بأذان الصلاة وليقم في اليُسرى؛ فإنّها عصمة من الشيطان الرجيم».[٧]

٦ ـ الرسول ﷺ: «إنّ الله يحبّ أن تعدلوا بين أولادكم حتي في القبلة».[٨]

٧ ـ الرسول ﷺ: «أكثروامن قبلة أولادكم، فإنّ لكم بكل قُبلة درجة في الجنة».

٨ ـ الرسول ﷺ: «أعدلوا بين أولادكم بالنحل كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف».[٩]

---

(١) المعتبر ١: ٣٤١.
(٢) انظر التهذيب ٨، ١١٢، ح ٣٧٨.
(٣) مستدرك الوسائل ١٥: ١١٦، ح ١٧٧٠٨.
(٤) عوالي اللآلي ٣: ٢٨٣، ح ١٨.
(٥) الكافي ١: ٤٧، ح ٤.
(٦) انظر: من لايحضره الفقيه ٤: ٣٧٢.
(٧) الكافي ١: ٤، ح ٩.
(٨) كنز المال: ح ٤٠٣٥٠.
(٩) السنن الكبرى، للبيهقي ٦: ١٧٨.

٩ ـ الرسول ﷺ: «من كان عندهُ صبيّ فليتصاب له».(١)

١٠ ـ الرسول ﷺ: «أحبّوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم ففوا لهم».(٢)

١١ ـ علي عليه السلام: «انظروا من يرضع أولادكم؛ فإنّ الولد يشبّ عليه».(٣)

تسمية المولود:

يرسم الإسلام للتربية الصالحة ما فيه معاني السموّ والرفعة للأولاد؛ لأنهم عدّة المستقبل وأمل الغد، وحملة الرسالة، وحماة الوطن، فما يكاد الوليد يدبّ على الأرض حتىٰ يرشد الإسلام بأن يختار الوالد لولده اسماً يكون خير الأسماء، واعتبره حقاً من حقوقه؛ لما في التسمية من أثر بيّن في السلوك الاجتماعي، لذلك غيّر النبي ﷺ أسماء بعض الصحابة ممن كان اسمه (حرب) إلى (سلم) حتى يكون سبباً للودّ والاحترام.

قال الباقر عليه السلام: «أصدق الأسماء ما سمّي بالعبودية، وأفضلها أسماء الأنبياء، إن النبي ﷺ قال: من ولد له أربعة أولاد ولم يسمّ أحدهم باسمي فقد جفاني».(٤)

و قال الباقر عليه السلام: «إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي: يا محمد يا علي، ذاب كما يذوب الرصاص، حتى إذا سمع منادياً ينادي باسم عدوٍ من أعدائنا اهتز واختال».(٥)

و قال الصادق عليه السلام: «ما ولد لنا ولد الّا سميناه محمداً، وإذا مضت سبعة أيام فإن شئنا غيّرنا وإلاّ تركنا».(٦)

و قال الصادق عليه السلام: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم يغفر لكم».(٧)

و قال الصادق عليه السلام: «من السُّنّة والبر أن يُكنّىٰ الرجل باسم ابنه».(٨)

---

(١) من لايحضره الفقيه ٣: ٤٨٣، ح ٤٧٠٧.

(٢) عدة الداعي: ٧٨.

(٣) الوسائل ٢١: ٤٦٧، ح ٧٦٠٠.

(٤) الوسائل ٢١: ٣٩٣، ح ٢٧٣٨٥.

(٥) الكافي ٦: ٢٠، ح ١٢.

(٦) عدة الداعي: ٧٧.

(٧) مكارم الاخلاق: ٢٢٢.

(٨) الوسائل ٢١: ٣٩٧، ح ٢٧٣٩٨.

و قال الكاظم عليه السلام: «أوّل ما يبرّ الرجل ولده أن يسميه باسم حسن، فليحسن أحدكم اسم ولد».[١]

والأولى الأسماء الحسنى، وهي (٩٩) اسماً، ذكر بعضها في سورة الحشر رقم (٢١)، وكذا أسماء النبي والصحابة والأئمة عليهم السلام أو ألقابهم، أو كناهم، وكذا النساء المجاهدات في الإسلام وألقابهن أو كناهنّ.

الآداب المستحبة للمولود:

١ ـ أول ما يولد الطفل يؤكد الإسلام بعد تنظيفه على أن يستأنس سمعه بكلمات الحق والصدق، فيستحب الأذان في أُذُنه اليمنى الإقامة في اليسرى، وفي اليوم السابع من ولادته يعمل له العقيقة ويعمد إلى ازالة شعر رأسه والختان.

٢ ـ العقيقة عن المولود، قال الصادق عليه السلام: «كلّ مولود مرتهن بالعقيقة... عقّ عنه وأحلق رأسه يوم السابع وتصدّق بوزن شعره فضة، واقطع العقيقة جداول واطبخها وادع عليها رهطاً من المسلمين».[٢]

٣ ـ الختان، قال الصادق عليه السلام: «اختنوا أولادكم سبعة أيام، فإنه أطهر وأسرع لنبات اللحم، وإن الأرض لتكره بول الأغلف».[٣]

وقال: «الختان في الرجل سنّة ومكرمة في النساء».[٤]

ولا تقف عناية الإسلام بالتربية عند هذا الحد من الطقوس، بل إذا شبّ الوليد عن الطوق ونضجت أظفاره فالإسلام يرشد إلى تربيته وتكوين شخصيته بغرس المبادىء الإسلامية السامية، ويأمره بالعبادات التمرينيّة قائلاً: «مروا أولادكم بالصلاة وهم ابناء

---

(١) التهذيب ٧: ٤٣٧، ح ١٧٤٥.
(٢) الكافي ٦: ٢٧، ح ١.
(٣) الكافي ٦: ٣٤.
(٤) الكافي ٦: ٣٧، ح ٤.

سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»[١] باعتبار أن الصلاة تستلزم كثيراً من الواجبات وترك كثير من المحرمات، فهي أصل الدين وعموده، وفيها معاني الطهر من النفاق والصفاء وضبط النفس والتعوّد على النظام، كي ينشأ الطفل نشأة صحيحة لصالح نفسه ومجتمعه.

حد الأدب: وليس المراد الضرب المبرح وإنما ذلك في حدود المعقول إذا توفرت الدواعي، وعن الصادق عليه السلام في أدب الصبي والمملوك فقال: «خمسة أو ستة وأرفق».[٢]

وقال: الإمام علي عليه السلام لصبيان الكتّاب: «ابلغوا معلّمكم إن ضربكم فوق ثلاث ضربات في الأدب اقتصّ منه».[٣]

وقال إسحاق بن عمار: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «ربما ضربت الغلام في بعض ما يحرم. فقال عليه السلام: وكم تضربه؟ فقلت: ربما ضربته مائة. فقال عليه السلام: مائة مائة ـ فأعاد ذلك مرتين ـ ثم قال: حدّ الزنا؟ إتق الله. فقلت: جعلت فداك فكم ينبغي لي أن أضربه؟ فقال: واحد، فقلت: لو علم إني لاأضربه الّا واحداً ما ترك لي شيئاً الّا أفسده؟ فقال عليه السلام: فتتني. فقلت: جعلت فداك هذا هو هلاكي إذاً. قال: فلم أزل أماكسه حتى بلغ خمسة، ثم غضب عليه السلام، فقال: يا إسحاق إن كنت تدري حدّ ما أجرم فأقم الحدّ فيه ولا تتعدّ حدود الله».[٤]

كما يؤكد الإسلام في تشريعاته على التساوي بين البنات والبنين، قال صلى الله عليه وآله: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور؛ فإنه من فرّح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقرّ عين ابن فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله أدخله جنات النعيم».[٥]

---

(١) عوالي اللآلي ١: ٣٢٨، ح ٧٤.
(٢) الكافي ٧: ٢٦٨، ح ٣٥.
(٣) الكافي ٧: ٢٦٨، ح ٣٨.
(٤) الكافي ٧: ٢٦٧، ح ٣٤.
(٥) أمالي الصدوق ٦٧٣، ح ٩٠٤.

ويظهر مدى اهتمام الإسلام بشأن البنات من النصوص الإسلامية المتواترة، منها: إنّ رجلاً من المسلمين بُشّر في مسجد الرسول بمولودة فتغيَّر وجهه، فقال ﷺ: مالك؟ فقال: خير. فقال ﷺ: قل؟ قال: خرجت والمرأة تمخض، فأُخبرت أنها ولدت جارية. قال ﷺ: ومالك ولها، الأرض تقلّها، والسماء تظلّها، والله يرزقها، وهي ريحانة تشمّها».[1]

وهكذا نجد عناية الإسلام بالغة بالتربية منذ اختيار الحياة الزوجيّة، وحين الحمل، وبعد أن يدبّ الطفل على وجه الأرض، وبعد أن يصير شاباً يافعاً وزوجاً وأباً وشيخاً هرماً، وحتى وفاته، ونختم الحديث بوصيّة لقمان لابنه كما حكاه الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: ١ ـ يا بنّي لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ٢ ـ يا بنّي إنّها إن تك مثقال حبّة من خردل، فتكن في صخرة، أو في السموات، أو في الأرض، يأت بهاالله، إنّ الله لطيف خبير. ٣ ـ يا بنيّ أقم الصلاة. ٤ ـ وامر بالمعروف. ٥ ـ وانه عن المنكر. ٦ ـ واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور. ٧ ـ ولا تصعّر خدّك للناس. ٨ ـ ولا تمش في الأرض مرحاً إنّ الله لايحبّ كلّ مختالٍ فخور. ٩ ـ واقصد في مشيك. ١٠ ـ واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾.[2]

ثالثاً ـ المجتمع الإسلامي:

الحياة الاجتماعية تتطلّب ـ بطبيعة الحال ـ نظاماً يتكفّل الأمن والسلام، ولهذا لايوجد على وجه الأرض مجتمع الّا وله نظام سماوي أو وضعي يتكفّل له ذلك، والإسلام عقيدةً وشريعةً يستهدف استقرار الأمن والسلام في المجتمعين الإسلامي الإنساني.

وعلى الصعيد الإسلامي نجد التوصيات الإسلامية تجاوز الحدّ والعدّ في آداب

---

(١) الكافي ٦: ٦، ح ٦.

(٢) لقمان: ١٩.

العشرة والسلوك الاجتماعي بكل وضوح وشمول وعمق، ويكفي الباحث أن يقف عليها من خلال كتب الأخلاق والفقه، ونحن نلمح إلى بعض النقاط:

قال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلّكم تذكّرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعلمون عليم﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعلمون خبير﴾.[2]

تؤكد نصوص الروايات ـ الزاخرة بالآداب الاجتماعية ـ وهكذا سيرة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام عملياً على الحث على حسن الخلق مع الناس كافة، وعلى أن البُشر يدّل على الصفاء كما يدل النور على النار وطلاقة الوجه على المحبّة وحسن المعاشرة، فالق عدوك وصديقك بالطلاقة، ولا تكثر اللّغو، ولا تتدخل فيما لايعنيك من أمور الافراد أو الجماعات، وإذا صلحت فلا تتكبر على أحد وتحفّظ من كثرة التمطّي والتثاؤب في وجوه الناس، وليكن مجلسك هادئاً، وحديثك منظّماً مرتباً، واصغ إلى كلام جليسك، واسكت عن المضاحك، ولا تتصنّع تصنّع المرأة في التزيّن، ولاتلحّ في الحاجات، ولا تشجع أحداً على الظلم، ولا تهازل الناس فيسقط وقارك، وانصف الناس، وتفكّر في صحتك، ولا تكثر الالتفات إلى وراءك، وإيّاك والغيبة التقرّب إلى السلطان فإن أخلاقهم متغيّرة، وإيّاك وصديق السوء فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من شرفك، احذر الخوض في حديث العامة، وتغافل عمّا يجري من سوء ألفاظهم، وإيّاك والمزاح مع اللبيب أو السفيه؛ فإن اللبيب يحقدالسفيه يتجرّأ عليك.

---

(١) النور: ٢٨.

(٢) المجادلة: ١١.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطّؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون».[١]

٢ ـ علي عليه السلام: «خالطوا الناس مخالطة إن متّم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنّوا اليكم».[٢]

٣ ـ الصادق عليه السلام: «وطّن نفسك على حسن الصاحبة لمن صحبت، وحسّن خلقك، وكفّ لسانك، واكظم غيظك، وأقلّ لغوك».[٣]

٤ ـ الصادق عليه السلام: «المؤمن آلف مألوف، ولا خير فمن لا يألف ولا يؤلف».[٤]

٥ ـ الصادق عليه السلام: «يا شيعة آل محمد اعلموا أنّه ليس منّا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، ومماحلة من ماحله»[٥]

وعلى الصعيد الإنساني:

أعلن الإسلام حقوق الإنسان كاملة لكل إنسان، وبكل صراحة وشمول، وبكل جدّ في التطبيق، بلا فرق بين جنس وآخر،عنصر وعنصر، أو لون وآخر، ونادى: أنّ مقياس الفضيلة هو التقوى، ولافضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود الّا بالكفاءة والتقوى؛ لأنهم جميعاً متساوون في الإنسانية، فلابدّ أن يتساووافي الحقوق أيضاً.

وعالمنا اليوم يحتفل في العاشر ديسمبر من كلّ عام بذكرى إعلان وثيقة حقوق

---

(١) الكافي ٢: ١٠٣ ح ١٦.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٤، الحكمة ١٠.

(٣) الكافي ٤: ٢٨٦، ح ٣.

(٤) الكافي ٢: ١٠٢، ح ١٧، وانظر: مستدرك الوسائل ٨: ٤٥، ح ٩٩٦٩.

(٥) الكافي ٢: ٦٣٧، ح ٢.

الإنسان، التي أصدرتها الأُمم المتحدة في مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٨ م. باعتبارها الوثيقة الجديدة التي أقرّت الحقوق الإنسانيةالمدنيّة والسياسية والاقتصاديةالاجتماعية بما في ذلك الضمان الاجتماعي، من الصحة والتعليم وواجبات الفرد ومسؤولياته في المجتمع

وأهم ما فيها المادة الأولى نصها:«يولد البشر جميعاً أحراراً متساويين في الكرامة والحقوق، وأنّ لهم التمتّع بكافّة الحريات المعلنة في هذا الميثاق دون التمييز بسبب اللون أو العرق أو الدين أو الرأي السياسي أو الثروة والنسب أو غير ذلك من الأسباب» الامم المتحده أعلنت هذا، وتحتفل دول العالم بها في كل عام، مع العلم أن التفرقة العنصرية تسود مناطق شاسعة في العالم، وتؤيدها نفس الدول التي تحتفل بهذه الذكرى ماديّاً ومعنويّاً، والدول القائمة على الدم والعرق لاتزال تزداد يوماً بعد يوم، وضحايا الاختلاف في الرأي السياسي يتجاوز حدّ الإحصاء، فإذاً أصحبت الوثيقة حبراً على ورق، ينتفع منها القوي فقط وفقط.

ولكن الإسلام أعلن حق المساواة بكلمة موجزة قائلاً: (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)[١] وطبّقها فعلاً قروناً طويلة في قوميات مختلفة، من ترك وفرس وعرب، حتّى أصحبت أمة الإسلام أمة لها كيانها واستقلالهارسالتها الخالدة ونالت تقديراً عالمياً حتى من قبل الذين لم يعتنقوا الإسلام.

---

(١)الحجرات : ١٣.

العلم والعمل

قال تعالى:﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنّما يتذكّر أُولوا الألباب﴾.[2]

ان العلم هو مبدأ كلّ حضارة وسبب كل سعادة، وتهذيب للفكر الإنساني من الجمود، ومقياس التفاضل في الحياة فإنه بقدر العلم ـ أيّ علمٍ كان ـ تتفاوت درجات الناس.

والإسلام هو دين العلم، وهذا من مميزات حضارته الخالدة، فقد جعل الإسلام للعقل والعلم السلطان الأعلى، ووضع الاقتناع النفسي أسلوباً ناجحاً من أساليب التربية والتعليم، وحرّية الإنسان الفكرية حقاً وضرورياً في الحياة، وما أكثر الآياتالأحاديث التي حثّت على العلم والمعرفة، سواء ما ورد في فضل العلم أو طالب العلم أوكتابة العلم أو ما شابه، وقد عدّه سبحانه في القرآن الكريم أفضل نعمةٍ بعد نعمة الخلق حيث قال تعالى:﴿اقرأ باسم ربك الذي خلقْ ○ خلق الاءنسان من علقْ ○ اقرا وربك الاكرمْ ○ الذى علم بالقلمْ ○ علم الانسان ما يعلمْ﴾[3]

وليس العلم في القرآن مقصوراً على العلوم الدينيّة، بل اللفظ يفيد العموم لكل علم ينفع المجتمع ويعود بالفائدة على بني الإنسان.

قال تعالى:﴿هو الذي بعث في الأميّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة...﴾[4]

وبالعلم هدى الله سبحانه البشرية إلى الصراط المستقيم بعد أن كانوا في ضلال مبين،

---

(١) المجادلة : ١١.
(٢) الزمر : ٩.
(٣)المجادلة : ١١.
(٤) الجمعة : ٢.

وبنفس الدرجة التي يؤكد القرآن على طلب العلم يؤكد على أن هذه التذكرة إنما تكون من نصيب أصحاب العقول؛ إذ بالعلم يكون كمال العقل وبه يكون تفاضلهم في الحياة.

قال تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكّر أُولوا الألباب﴾.(١)

وإنّ درجات العلوم والمعرفة متّسعة متفاوتة: (و فوق كلّ ذي علم عليم).(٢)

ولمّا كان التقليد الأعمى ـ من دون قناعة ـ حجر عثرة في سبيل العلم، حاربه الإسلام بكل صوره، فقال تعالى ﴿ وإذاقيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾.(٣)

وأمر سبحانه بالاستزادة من العلم بقوله: ﴿و قل ربّ زدني علماً﴾.(٤)

ولم يأمره بطلب المال أو الجاه أو السلطان وإنما بالعلم الذي هو أهم من ذلك كله.

وكان النبي ﷺ في سيرته يجعل للعلم مكانة سامية، وكان يطلق سراح الأسارى إذاعلّموا أولاد المسلمين الكتابة القراء؛ حرصاً على شرف العلم.

وفي الحديث:«إن الناس أربعة: رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فذاك مرشد عالم فاتبعوه، ورجل يعلم ولا يعلم إنه يعلم فذاك عاقل فأنصفوه، ورجل لايعلم ويعلم أنّه لايعلم فذاك جاهل فعلّموه، ورجل لايعلم ولا يعلم أنه لايعلم فذاك ضالّ فأرشدوه».(٥)

وفي ديوان الإمام عليه السلام:

ما الفضل الّا لأهل العلم انّهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاّء

و قيمة المرء ما قد كان يحسنه ... و الجاهلون لأهل العلم أعداء

فقم بعلمٍ ولا تسبغي به بدلاً ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

---

(١) الزمر : ٩.
(٢) يوسف : ٧٦.
(٣) المائدة : ١٠٤.
(٤) طه : ١١٤.
(٥) عوالي اللآلي ٤: ٧٩، ح ٧٤.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة».[١]

٢ ـ الرسول ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين».[٢]

٣ ـ الامام علي عليه السلام: «تعلّموا ممّن علم فعمل».[٣]

٤ ـ الامام علي عليه السلام: «لاتقسروا اولادكم على آدابكم؛ فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».[٤]

٥ ـ وقال الامام علي عليه السلام في وصف العلم: «و هو أنيسٌ في الوحشة، وصاحبٌ في الوحدة، وسلاحٌ على الأعداء، وزين الأخلاّء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، وترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم... لأنّ العلم حياة القلوب من الجهل، ونور الأبصار من العمى، وقوّة الأبدان من الضعف، ينزّل الله حامله منازل الأبرار، ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة،بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويُوحَّد، وبالعلم توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام...».[٥]

٦ ـ الصادق عليه السلام: «اطلبوا العلم، وتزيّنوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبّارين، فيذهب باطلكم بحقكم».[٦]

والعمل هو الميزان العادل في تقويم السلوك الاجتماعي والاعتقاد الديني على حدٍّ سواء، قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طّيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعلمون﴾.[٧]

---

(١) مستدرك الوسائل ١٧: ٢٤٩، ح ٢١٢٥٠.

(٢) دعائم الاسلام ١: ٨٠. (٣) الوسائل ١: ١١١، ح ٢٧٢.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٦٧، الحكمة ١٠٢.

(٥) أمالي الصدوق: ٧١٣، ح ٩٨٢. (٦) الكافي ١: ٣٦، ح ١.

(٧) النحل : ٩٧.

وقال: ﴿إن الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات إنّا لانضيع أجر من أحسن عملاً﴾.(١)

فالعمل واجب إنساني يعود على نفس العامل والمجتمع بالخير والبركة، وسبب لرقيّ الأُمّة، بينما ترك العمل يؤدّي إلى الكسل الذي مقته الإسلام؛ إذ يؤدي إلى إهمال التفكير في أداءالواجب بالنسبة إلى نفسه والمجتمع، ويكون كالبهائم همّها علفها، وليس على وجه الأرض إنسان له تقدّم في الحياة الّا بقدر ما سعى في الحياة فيسبيل هدفه. قال تعالى: ﴿وأنْ ليس للإنسان إلاّ ما سعى وأنّ سعيه سوف يُرى﴾.(٢) وهو وعد مؤكّد من الله بأن السعي تتبعه سريعاً النتيجة، فبقدر الأعمال يكون قدر الرجال، وبقدر الكسل يكون الفشل،بالدرجة التي عمل المسلمون سادوا برهة طويلة أقطاراً شاسعة في آسيا وإفريقيا وقسماً من أوربا. وما أبهر الأوروبيون العالم باكتشافاتهم لمظاهر القدرة الإلٰهية في الكون بمختلف الاكتشافات العلمية الّا بسعيهم وعملهم،كانت النتيجة كما وعد الله تعالى كلّ إنسان من غير استثناء بقوله تعالى: ﴿وأنّ سعيه سوف يرى﴾.

وصلة العمل بالعلم هي صلة الإيمان بالعمل وصلته تعالى بالخلق: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾.(٣) والقرآن الكريم يقرن الإيمان بالعمل والصالح في أكثر من سبعين آية؛ ذلك أن العمل من مقوّمات الإيمان، قال الصادق عليه السلام: «الإيمان هو القول باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان».(٤)

وقال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾.(٥)

فالعمل هو الذي يرسم المستقبل والمصير، وما تأخّرت أمّة الّا بنتيجة أعمالها قال تعالى: ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعلمون﴾.(٦)

---

(١) الكهف : ٣٠.
(٢) النجم ٣٩ : ـ ٤٠.
(٣) اطلك : ٢٠.
(٤) عيون اخبار الرضا عليه السلام: ١٧٧، ط / ١٣٩٠ هـ
(٥) الزلزلة : ٨ ـ ٧.
(٦) يونس : ١٣ ـ ١٤.

الكسب والتجارة

ما أكثر الروايات في الأمر بالكسب الحلال، كمثال من موارد تطبيق الأمر بالعمل؛ إذ المعيشة الصالحة لاتكون الّا بأسباب موجبة لها، ولا منافاة بين ذلك وبين قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقُكُم وما توعدون﴾.[1] فإن ذلك يدل على ثبوت الرزق في السماء، وأما أسباب الرزق فليست في السماء، بل هي في الأرض وبيد الإنسان وهو (السعي).

قال تعالى: ﴿و هزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيًّا﴾.[2]

و لو لا(الهز) الذي هو سعي الإنسان لما تساقط الرطب، والله قادر أن يحني النخلة إليها لتأكل ولكن «أبى الله أن يجري الأشياء الّا بأسباب»[3] ولا بدّ من جانب الإنسان أن يهزّ النخلة وهذا سعيٌ منه، ثم يتساقط الرطب ويأخذ بيده ليأكل.

وكفى شرفاً للعمل و الكسب المشروع أن الأنبياء عليهم السلام والائمة عليهم السلام عملوا أعمالاً مختلفة من التجارة والرعي وصناعة الدروع، ومعنى ذلك أن العمل شرف مهما كان صغيراً وكبيراً.

كان آدم عليه السلام حارثاً، وإدريس خيّاطاً، ونوح نجّاراً، وهود تاجراً، وإبراهيم راعياً، ولوط زارعاً، ومحمد صلى الله عليه وآله تاجراً.

ومن أئمة أهل البيت عليهم السلام كان الإمام الصادق عليه السلام يتّجر بماله بالمضاربة، وقد دفع سبعمائة ديناراً لعذاقر وأمره بالاتّجار وربح عذاقر مائة دينار فتناصفا.

---

(١) الذاريات : ٢٢.
(٢) مريم : ٢٥.
(٣) الفصول المهمّة في اصول الائمة ١: ٤٨٦، ح ٦٨٥.

وأصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا يكسبون بأيديهم، فكان سلمان المحمّدي خوّاصاً، وميثم التمّار تمّاراً، وجاء في ديوان الإمام عليه السلام:

و ما طلب المعيشة بالتمنّي ... ولكن ألق دلوك في الدلاء

تجئك بملئها يوماً ويوماً ... يجيئ بحماءةٍ وقليل ماء

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يخرج في الهاجرة في الحاجة التي كفاها الله، يريد أن يراه الله يتعب في طلب الحلال، وجاء محمد بن المنكدر معاتباً للإمام الباقر عليه السلام على مباشرته للعمل الشريف، فقال له الإمام عليه السلام: «لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني و أنا في طاعة من طاعات الله، أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنّي كنت أخاف لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله».[1]

و رأى الصادق عليه السلام رجلٌ وقد خرج عليه السلام في يوم صائف شديد الحرّ، فلامه على خروجه، فقال عليه السلام: «خرجت في طلب الرزق لأستغني عن مثلك».[2]

وقال أبو عمرو الشيباني: رأيت أبا عبدالله لصادق عليه السلام وبيده مسحاة وعليه ازار غليظ يعمل في حائط له، والعرق قد أخذ منه مأخذاً، فقلت: جعلت فداك أعطني المسحاة أكفيك. فقال لي: «إني أحب أن يتأذّى الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة».[3]

و قال الصادق عليه السلام: «ما خلّف الرجل بعدهُ شيئاً أشد عليه من المال الصامت. قيل له: فكيف يصنع به؟ قال عليه السلام: يجعله في الحائط والبستان والدار».[4]

وقال الرضا عليه السلام: «الذي يطلب من فضل الله ما يكفّ به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله».[5]

---

(١) التهذيب ٦: ٣٢٥، ح ٨٩٤.
(٢) الكافي ٥: ٧٤، ح ٣.
(٣) الوسائل ١٧: ٣٩، ح ٢١٩٢٤.
(٤) من لايحضره الفقيه ٣: ١٤٧٠، ح ٢٦٤.
(٥) الكافي ٥: ٨٨، ح ٢.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «العبادة سبعون جزءاً، أفضلها طلب الحلال».(١)

٢ ـ علي عليه السلام: «إيّاكم والكسل؛ فإنه من كسل لم يؤدّ حقّ الله عزوجل».(٢)

٣ ـ علي عليه السلام: «أوصيكم بالعمل قبل أن يؤخذ منكم بالكظم، وباغتنام الصحة قبل السقم، وقبل أن تقول نفسٌ: ﴿ يا حسرتى علىٰ ما فرَّطت في جنب الله ﴾».(٣)

٤ ـ السجّاد عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».(٤)

٥ ـ الصادق عليه السلام: «ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا».(٥)

٦ ـ الصادق عليه السلام: «إيّاك وخصلتين: الضجر والكسل؛ فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تودّ حقاً».(٦)

وهكذا نجد الإسلام يحثّ على السعي في طلب الرزق على الصغار والكبار والنساء والرجال ـ على حدّ سواء ـ بمختلف طرق المعيشة من الصناعات اليدوية الخفيفة، حتى الصناعات الثقيلة، ممّا يؤثر في رفع مستوى المعيشة من الصناعة والتجارة والزراعة، وبنفس الدرجة يحارب الكسل والبطالة؛ ذلك إن العلم مصدر القوّة في الحياة وأساس العمران الحافل بالخيرات، وأنّ سعادة الأمة ومستقبل الفرد مرهون بالعمل، على العكس من الكسل الذي هو داء اجتماعي وبيل يسبب التأخر والفشل أعاذ الله المسلمين شرّه.

---

(١) الكافي ٥: ٧٨، ح ٦.
(٢) الخصال: ٦٢٠.
(٣) دعائم الاسلام ٢: ٣٤٩، والآية من سوره.
(٤) من لايحضره الفقيه ٣: ١٥٦، ح ٣٥٦٩.
(٥) الوسائل ١٥: ٢٤٧، ح ٢٠٤٩.
(٦) من لايحضره الفقيه ٤: ٣٥٥.

المسامحة والتساهل

يحثّ الإسلام على فضيلة التسامح والتساهل، فقد قال الرسول ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة».[1]

وفي الحديث النبوي: «تكون سهلاً للقريب والبعيد وان ولاتكون جبّاراً عنيداً».[2]

والنظرة الفاحصة في التشريعات الإسلامية توضّح مدى اهتمام الإسلام بالمسامحة وخاصة في حسن الخلق والمجاملة و التغافل عن الهفوات، قال الإمام عليه السلام في صفات المؤمن: «سهل الخليقة، لين العريكة، رصين الوفاء، قليل الأذى».[3]

والله سبحانه سنَّ التسامح لبني الإنسان عامة، قال تعالى: ﴿فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى﴾.[4]

ذلك ان كلّ إنسان يحتاج إلى من يعينه إذا افتقر، ويرشده إذا ضلّ، فهو مرتبط بفطرته مع النّاس؛ لذلك عمّ الحكم الالٰهي للبشر كافة، وعلى العكس من يفقد هذه الصفات الإنسانية: ﴿وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا تردّى﴾.[5]

واليسر رحمة من الله تعالى لعباده، على العكس من العسر، وليس اليسر في المال وحده؛ فإنك تجد المتوسع في أمور الحياة وحدها من مال وعقار وتجارة مهموماً هلوعاً جزوعاً، ذلك إن لم تشمله رحمة الله

---

(١) الوسائل ٨: ٦١١، ح ١٠٢٠٨.
(٢) الخصال: ٥٤٤.
(٣) الوسائل ٨: ٦١١، ح ١٠٢٠٨.
(٤) الليل: ٥ ـ ٧.
(٥) الليل: ٨ ـ ١١.

و(اليسر) والحياة الطيبة إنما هو انشراح الصدر، والعمل الصالح: حياة القناعة من دون تهالك، فإذا حلّ في القلبَ الغنى والقناعة فقد حلّ فيه الفرح والسرور، وإذا لم تقتنع النفس وأُصيب بالفقر الدائم كانت حياته حياة نكدة مكدّرة مهما كان يملك من المال والعقار، وكلّما زادت امواله زادت همومه وغمومه.

ومجال التسامح في تشريعات الإسلام كثير، نكتفي بالتلميح إلى نقاط بارزة:

منها: (العفوعند المقدرة) وهوخلق إسلامي رفيع وسبب للمودة والصداقة.

قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم وما يلقّاها الّا الذين صبروا وما يُلقّاها الّا ذو حظٍّ عظيم﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿خذ العفو وآمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله إنّ الله يحبّ المتوكّلين﴾.(٣)

فالعفويدعو إلى اسماحة وتعاطف المجتمع وترابطه-على أساس متين من الحب والعطف، وينفي الأمراض التي تعرض كيان الأمة، وهي عوامل التفرقة والضعف، فالعفو إذاً من أعظم الفضائل الإنسانية ومن أكرم الصفات التي تدلّ على سمّو النفس و طهارة الضمير وقوّة الإرادة، وقد غضّ النبيّ ﷺ في فتح مكة عن هند ـ أُمّ معاوية ـ التي أخرجت كبد عمّ النبي ﷺ في أُحُد وارادت أن تأكله ولم تتمكن من ذلك، فقطعت أُذنه وأنفه وجعلتها قلادة في عنقها، وبعد ذلك كله جاءت وأسلمت مستكرة، ولمّا عرفها الرسول ﷺ صفح عنها، وهوالذي قال لمعشر قريش ـ أعداوه، الذين أخرجوه من مكة وآذوه ـ بعد أن أسلموا: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».(٤)

---

(١) فصلت: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) الأعراف: ١٩٩.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) التهذيب ٤: ١١٩، ح ٣٤١.

وهذا علي أميرالمؤمنين عليه السلام يوصي أهله بقاتله (ابن ملجم) في حين أنّه عليه السلام كان يعاني ضربته القاتلة قائلاً: «إن بقيت مع الأحياء فالأمر إلى الله وإليّ، وإن انتقلت إلى الله فالأمر إليه وإليكم، وأن أبيتم الاّ القصاص فضربة بضربة، (وأن تعفوا أقرب للتقوى)». (١)

وهذا الامام السجّاد عليه السلام أخطأته جاريته وهي تصبّ الماء فأصاب الاناء رأس الإمام عليه السلام فشجّتهُ فنظر إليها، فقالت: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ قال عليه السلام: كظمت غيظي، فقالت: ﴿والعافين عن الناس﴾ قال: عفوت عنك. فقالت: ﴿والله يحبّ المحسنين﴾ قال عليه السلام: أنتِ حرّة لوجه الله». (٢)

وكان الإمام السجّاد عليه السلام إذا سمع ما يسوؤه من الاعداء يقول عليه السلام: «اللهمّ إن كان صادقاً فاغفرلي، وإن كان كاذباً فاغفر له». (٣)

وما أعظمه من درس أخلاقي عظيم يجب على المسلمين أن يجعلوه نصب أعينهم في السلوك الفردي والاجتماعي.

في رحاب السُّنّة:

١ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «إنكم إن لن تسعوا الناس بأموالكم فألقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر». (٤)

٢ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «من لم يقبل من متنصّل عذراً، صادقاً كان أوكاذباً، لم ينل شفاعتي». (٥)

٣ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال

---

(١) نهج السعادة ٧: و لآية في سورة البقرة ٢٣٧.

(٢) انظر مشكاة الانوار: ٣١٢، و لآية في سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) الصحيفة السجادية: (دعاؤه عليه السلام اذا أغضبه أحد).

(٤) الكافي ٢: ١٠٣، ح ١.

(٥) الوسائل ١٢: ٢١٧، ح ١٦١٢٤.

ﷺ: الهيّن القريب الليّن السهل».[١]

٤ ـ الرسول ﷺ: «أعقل الناس أشدّهم مداراةً للناس».[٢]

٥ ـ الرسول ﷺ: «وأذلّ الناس من أهان الناس».[٣]

٥ ـ الرسول ﷺ: «المسلم من سلِمَ المسلمون من يده ولسانه».[٤]

٦ ـ الرسول ﷺ: «من اصطنع إليه المعروف فاستطاع أن يكافيَ عنه فليكافئ، ومن لم يستطع فليثني خيراً ؛ فإن من أثنى كمن جزى».[٥]

٧ ـ السجّاد عليه السلام: «إن شتمك رجل ممن يمينك ثم تحوّل الىٰ يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره».[٦]

٨ ـ الصادق عليه السلام: «اتّقوا الله وتحابّوا وتزاوروا وتواصلوا، وكونوا إخواناً بررة».[٧]

٩ ـ الصادق عليه السلام: «رأيت المعروف كاسمه، وليس شيء أفضل منه الّا ثوابه».[٨]

١٠ ـ الصادق عليه السلام: «أجيزوا لأهل المعروف زلاّتهم واغفروها لهم».[٩]

١١ ـ الصادق عليه السلام: «رأيت المعروف لا يتم الّا بثلاث: تصغيره وستره وتعجيله، فإنّك إذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تممته، وإذا عجّلته هنأته، وإذا كان غير ذلك سخفته ونكدته».[١٠]

---

(١) امالي الصدوق: ٣٩٧، ح ٥١١.
(٢) امالي الصدوق ٧٣: ح ٤١.
(٣) روضة الواعظين: ٣٨١.
(٤) المحاسن ١: ٢٨٥، ح ٤٢٦.
(٥) مستدرك الوسائل ١٢: ٣٥٥، ح ١٤٢٧٧.
(٦) الوسائل ١٦: ٢٩٥، ح ٢١٥٨٤.
(٧) مشكاة الانوار: ١٣٧.
(٨) فقه الرضا عليه السلام: ٣٧٣.
(٩) الكافي ٤: ٢٨، ح ١٢.
(١٠) الوسائل ١٦: ٣١٤، ح ٢١٦٤٠.

الدعاء والذّكر

قال تعالى: ﴿إذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان﴾[1]

الدعاء ـ بالضم والمد ـ النداء تقول: دعوت فلاناً إذا ناديته، وشاع بمعنى طلب الرحمة من الله تعالى على وجه الخضوع،الدعاء عبادة إسلامية حث عليه الإسلام لغرس روح الفضيلة في سلسلة من نصوص الأدعية التي هي بمثابة دروس الأخلاق يتزوّد منها الإنسان المسلم في حياته الروحية، وهوصلة الإنسان بربه، وليس للأمراض النفسية ومشكلاتها الطارئة من الهمم الأحزان من علاج نفسي سوى الدعاء؛ إذا العلاج الوحيد للقلق هوالتحدّث مع الصديق المخلص، والدعاء حديث صريح وحوا رمفتوح مع أصدق المخلصين: رب العالمين الرحمن الرحيم، فالداعي بدعائه يسموروحياً عن الشهوات والمزالق الانحراف، والدعاء ـ كما في الحديث ـ مخ العبادة ومعناه: إنّه بمنزلة المخ في الإنسان، فهوسرّها وروحها لأنه شعوق رقيق وحديث بكل صفاء وخضوع أمام القدرة الكاملة فهوإذاً أساس العبادة.

قال تعالى: ﴿فاعوا الله مخلصين له الدين ولوكره الكافرون﴾[2]

وقال: ﴿وما أُمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾[3]

والإخلاص والضراعد والرجاء حالات تلازم الدعاء، والأخبار في فضله والحث عليه متواترة، ويكفي في فضله أنّه شعار الصالحين وسنة الأنبياء والمرسلين،وقد ألّف جمع من علمائنا في الأدعيةمؤلّفات خاصة تناولت الأدعيةالتي لها منزلة خاصة في بعض المناسبات الدينية التي اهتمّ بها الإسلام كأوقات الضيلة: ليلة القدروشهر رمضان

---

(١) البقرة : ١٨٦.

(٢) غافر : ١٤.

(٣) البيّنة : ٥.

ورجب وشعبان، وفي الأماكن المقدّسة كالمسجد الحرام والمدينة والكوفة ومراقد الأئمة عليهم السلام والأولياء، وأثرت أدعية خاصة في بعض الحالات والأوقات خاصة مع طلوع الشمس وغروبها ووقت الحسر وأوقات الصلاة.

ومن أهم الملاحظات: الدعوة عن نيّة صادقة وفي حالة سموالنفس وطهارة الضمير متطهراً عن حقوق الله والناس، فإنها من جملة شرائط القبول.

وأمّا الذكر:

إنّ الدعاء والذكر واحد، قال تعالى: ﴿واذكر ربّك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولا تكن من الغافلين﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾.(٢)

وقال صلى الله عليه وآله: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلّ صلاته وصيامه وتلاوة القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته و صيامه وتلاوته القرآن».(٣)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أما إني لاأقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله الّا الله والله أكبر، وإن كان هذا من ذاك، ولكن ذكر الله في كلّ موطن إذا هجمت على طاعة أو معصية».(٤)

فليس الذكر مجموعة تراتيل فاقدة للروح والوعي، إنما هي سلاح فعّال في ميدان الحياة، قال تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون﴾(٥)

فذكر الله لايختص بالمسجد والصلاة، بل وحتى بعد قضاء الصلاة والانتشار للعمل، وخاصة في المواقف الصعبة حينما تنقطع الآمال الّا منه تعالى. قال تعالى لموسى عليه السلام:

---

(١) الأعراف : ٢٠.
(٢) الرعد : ٢٨.
(٣) مستدرك الوسائل ٥: ٢٩٩٩، ح ٥٩١٤.
(٤) شرح اصول الكافي ٨: ٤٠٩.
(٥) الجمعة : ١٠.

﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولاتَنِيَا في ذكري﴾[١]

فالذكر عبادة، ولا تتحقق العبادة الّا بذكر الله تعالى.

شبهة وحل:

قد يسأل الإنسان ربّه ويكرر الدعاء ولكن من دون أي أثر للإجابة، والسرّ في ذلك:

أولاً: قد يكون في تأخير الإجابة مصلحة وفي الاستعجال مضرّة، والإنسان كثيراً مّا تغيب عنه الحكمة ﴿عسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهوخير لكم﴾.[٢]

ثانياً ـ قد يكون بسبب الإخلال بشرط الدعاء وآدابه، وهذا ما يوجب علينا التعرّض لشرائط الدعاء بتفصيل.

شرائط الدعاء: لا شك في أنّ الله قضاءً لازماً لايتخلّف، فهل الدعاء يؤثّر في ذلك القضاء اللازم؟

وقد انتهى هذا السؤال لدى بعض المسلمين إلى القول بأن الدعاء لايزيد ولا ينقص شيئاً ؛ لأن المطلوب إن كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع، وإلاّ فلا يقع.

والحل: أنّ القضاء ـ كما ذكرنا فيما سبق ـ هو الحكم من الله سبحانه بشيء من الأشياء معلّقاًعلى حصول سببه؛ لأن الله سبحانه «أبى أن يجري الاشياء الّا بأسباب»[٣]، والقضاء حكم لازم معلّق على عدم المانع، ومن موانع الدعاء والتصدّق والاستغفار، وهذا ما يؤكّدهُ المروي عن الصادق عليه السلام: «ادع ولا تقل: إنّ الأمر قد فرغ منه، إن عند الله منزلة لاتنال الّا بمسألة، ولو أن عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً، فسل تعط؛ انه ليس باب يقرع الّا يوشك أن يفتح لصاحبه».[٤]

وقد وعد الله إجابة الدعاء بشرائط والتي أهمّها الإخلاص وطهارة الضمير وطهارة

---

(١) طٰه : ٤٢.

(٢) البقرة: ٢١٦.

(٣) الفصول المهمّة في اصول الائمّة ١:٤٨٦،ح ٦٨٥.

(٤) الكافي ٢: ٤٦٦، ح ٣.

المأكل والمشرب. قال رجل لرسول الله ﷺ: أُحبّ أن يستجاب دعائي، فقال ﷺ: «طهرّ مأكلك ولا تدخل بطنك الحرام»[١] ومن آداب الدعاء:

١ ـ بسط اليدين إلى السماء.

٢ ـ الصلوات على محمد وآله قبل الدعاء وبعده.

٣ ـ أن تقول: (يالله) عشر مرات.

قال الإمام السجّاد عليه السلام: والذنوب التي تردّ الدعاء:

١ ـ سوء النية.

٢ ـ وخبث السريرة.

٣ ـ والنفاق مع الإخوان.

٤ ـ وترك التصديق بالإجابة.

٥ ـ وتأخير الصلوات المفروضات حتّى تذهب أوقاتها.

٦ ـ وترك التقرّب إلى الله عزّوجلّ بالبرّ والصدقة.

٧ ـ واستعمال البذاء والفحش في القول».[٢]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام لمّا سئل عن قول الله سبحانه: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾[٣] فما بالنا ندعو فلا يجاب لنا؟ قال عليه السلام: «إن قلوبكم خانت بثمان خصال:

أوّلها: أنكم عرفتم الله فلم تؤدّوا حقّه كما أوجب عليكم فما أغنت عنكم معرفتكم شيئاً.

الثانية: أنكم أمنتم برسوله ﷺ ثم خالفتم سُنّته وأمتّم شريعته، فأين ثمرة أيمانكم.

والثالثة: أنكم قرأتم كتابه المنزل عليكم فلم تعملوا به وقلتم: سمعنا وأطعنا لكم؟ و الرابعة: انكم قلتم: انكم تخافون من النار، وأنتم في كلّ وقت تقدمون إليها بمعاصيكم فأين خوفكم؟

---

(١) الوسائل ٧: ١٤٥، ح ٨٩٦٥.

(٢) انظر: معاني الاخبار: ٢٧١.

(٣) الوسائل ٧: ١٤٥، ح ٨٩٦٥.

والخامسة: أنكم قلتم: ترغبون في الجنة، وأنتم في كل وقت تفعلون ما يباعدكم منها، فأين رغبتكم فيها؟!

والسادسة: انكم أكلتم نعمة المولى ولم تشكروا عليها.

والسابعة: أنّ الله أمركم بعداوة الشيطان وقال: ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدواً﴾[١] فعاديتموه بلا تولٍ ووالیتموه بلا مخالفةٍ.

والثامنة: أنّكم جعلتم عيوب الناس نصب عيونكم وعيوبكم وراء ظهوركم، تلومون من أنتم أحق باللوم منه، فأي دعاءٍ يستجاب لكم مع هذا وقد سددتم أبوابه وطرقه.

فاتّقوا الله وأصلحوا أعمالكم وأخلصوا سرائركم وأمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر فيستجيب الله لكم دعاءكم».[٢]

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض».[٣]

٢ ـ الرسول ﷺ: «إن أعجز الناس من عجز عن الدعاء».[٤]

٣ ـ الرسول ﷺ: «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليست قطيعة رحم ولا استجلاب إثم الّا أعطاه الله تعالى بها إحدى خصال ثلاث: إمّا أن يعجّل به الدعوة، وإمّا أن يؤخرّها في الآخرة، وإمّا أن يدفع عنه مثلها من السوء».[٥]

٤ ـ الرسول ﷺ: «من أحبّ أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه وكسبه».[٦]

٥ ـ الرسول ﷺ: «الدعاء مخّ العبادة».[٧]

٦ ـ وقال ﷺ أفضل أعمال أمتي بعد قراءة القرآن الدعاء.[٨]

---

(١) فاطر: ٦.
(٢) مستدرك الوسائل ٥: ٢٦٩، ح ٨٥٤١.
(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٠، ح ٩٥.
(٤) روضة الواعظين: ٤٥٩.
(٥) مكارم الاخلاق: ٢٦٩.
(٦) عدة الداعي: ١٢٨.
(٧) الوسائل ٧: ٢٧، ح ٨٦١٥.
(٨) مستدرك الوسائل ٥: ١٥٩، ح ٥٥٥٥.

٧ ـ الامام علي عليه السلام: «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر».[١]

٨ ـ الامام الصادق عليه السلام: «من ترك مسألة الله افتقر».[٢]

ولنعم ما قال شيخنا العلامة قدوة السالكين الشيخ آقا بزرك الطهراني أدام الله أيّامه: «إنّ حال الدعاء والذكر أقرب حالات العبد إلى حضرة الربوبية وإن كان هو أقرب من حبل الوريد لكنهم عنه ساهون، وبالدعاء والذكر يرتفع الحجاب بين الداعي و ربّ الأرباب».

وكذلك نرى اهتمام الشارع بالدعاء فوق اهتمامه بكلّ شيء؛ فإنه قد روي لكل آن من آناء الليل والنهار ولكل يوم من أيام الأسابيع أوالشهور أوالسنين أوالعمر أدعية خاصة يمكن الاطلاع عليها بمراجعة كتب الادعية».

مدرسة القرآن:

القرآن هو الوحي المنزل على خاتم النبيين محمّد صلى الله عليه وآله، وهوآخر الكتب السماوية، بدأ نزوله في مكة المكرمة، واستمر نزوله حتى بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة مدة ثلاثة وعشرين عاماً ـ حسب الحاجة ـ وعرف ما نزل قبل الهجرة بالمكي، وما نزل بعدها بالمدني، ويشمل مجموع القرآن على ١١٤ سورة سميت بأسماء أوائلها أوالغالب على مواضيعها، ويمتاز القرآن على سائر الكتب السماوية من صحف إبراهيم عليه السلام والتوراة والإنجيل وزبور داود بالخاتمية والكمال وبقاء التشريع.

قال تعالى: ﴿نزّل عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدىً للناس وأنزل الفرقان﴾[٣]

فتكفّل النظام الشامل الكامل لكل ما تحتاج إليه البشرية في العقيدة والسلوك بالنسبة إلى الفرد والمجتمع واشتمل القرآن الكريم على آيات تتعلق بالأحكام الشرعية تبلغ

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٧٩، الحكمة ٣٣٧. (٢) عدة الداعي: ٤١.

(٣) آل عمران: ٢ ـ ٣.

عدتها نحو خمسمائة آية، وعلى آيات تتعلق بالتاريخ تبلغ عدتها نحو ألف آية، وعلى آيات أخر تتعلق باليوم الآخر و أحواله وأهواله و حسابه وكتابه و ثواب وبعقاب، إلى غير ذلك ممّا ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية.

وقد تحدّى القرآن الكريم كافة البشر على أن يأتوا بمثله في عدالة التشريع وقابلية التطبيق و ضمان الحياة السعيدة» قائلاً: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(١)

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣)

وقد سمع العرب والعالم هذا التحدّي ولم يتمكّنوا من أن يبدلوه بكتاب أسمى تشريعاً وأعمق مادةً وأجدر أسلوباً، ذلك لأنّ القرآن خيرة خالق العباد، العالم بأحوالهم ومبدأهم ومنتهاهم وهو المعجزة الخالدة ما بقي للعقل الإنساني كيان وللعلم استقلال، ومنذ ان قام الإسلام بنشاطاته الفكرية والسياسية في عصر الرسالة قامت قوى الشرّ تناقض النشاط الديني وحتى يومنا هذا حيث يحاول أعداء الإسلام أن يستغلّوا ما في نفوس المسلمين من نقاط ضعف ويشوّهوا الدين ويفسدوا الأخلاق باسم الحرية والتقدم والديمقراطية، في حين أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أعطى للفكر أبعد حدود الحرية، فلا تقليد في العقائد ولا استغلال فكري ولا إكراه. قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾(٤)

ومدرسة القرآن هذه التي أنقذت البشرية من ضلالها ورسول الله راعيها ومؤسسها، قد

---

(١) البقرة: ٢٣.
(٢) يونس: ٣٨.
(٣) هود: ١٣.
(٤) المائدة: ١٥ ـ ١٦.

أخرجت جيلاً متمتعاً بتربية إسلامية رشيدة عظيمة، طبّقت العدالة والحرية والسلام، وانتمت إليها ـ على حدّ سواء ـ القوميات المختلفة من عرب و ترك وفرس وتقبّلوا الإسلام بعقل حتى أصبحت قومية إسلامية واحدة.

صحيح أن الإسلام دخل بقوّة، لكنه لو كان غير صالح لهم لرفضوه بعدما ذهبت القوة، ولكن نرى العكس حيث نرى الاجيال من الفرس والترك والهند وغيرهم يعتقدون بالإسلام أشدّ الاعتقاد.

وهكذا عاش المجتمع الإسلامي في رحاب هدى القرآن أمةً لها تاريخ ودول، وأصبح الفرد صاحب إرادة وحرّية. ولما تركنا القرآن جانباً صار المجتمع يعاني كثيراً من المشاكل في الحياة من الظلم الكذب والفشل، أعاذ الله المسلمين شرّها.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «من طلب الهداية بغير القرآن ضلّ، وهو الحبل المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا يلتبس على الإنس، ولا يخلق من كثرة القرآءة، ولا يشبع منه العلماء، ولا ينقضي عجائبه».(١)

٢ ـ علي عليه السلام: «إن هذا القران هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلاّقام عنه بزيادة أونقصان: زيادة في هدى ونقصان في عمى».(٢)

٣ ـ الصادق عليه السلام: «لا يعجبني أن يقرأ القرآن في أقل من شهر».(٣)

٤ ـ الصادق عليه السلام: «قارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال؛ فإذا أخشع الله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾(٤)

---

(١) مستدرك الوسائل ٤: ٢٤٠، ح ٤٥٩٥.
(٢) نهج البلاغة ٢٦ ٩١٧ الخطبة ١٧٦.
(٣) الكافي ٢: ٦١٧، ح ١.
(٤) النحل: ٩٨.

وإذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقرآءة، فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خاليا واعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الاوليين، استانس روحه وسرّه ووجد حلاوة مخاطبة الله عبادة الصالحين».[1]

٥ ـ الصادق عليه السلام: «إن القرآن لا يقرأ هذمرة[2]، ولكن يرتّل ترتيلاً، فإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها واسأل الله عزوجل الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوّذ بالله من النار».[3]

وهكذا ظل القرآن دستور المسلمين وقانونهم الأساسي الذي يرجع إليه في العقيدة والشريعة وكلّ شأن من شؤون الدين والدنيا.

والمسلمون وهم اكثر من مليارد شخص ـ على ما بينهم من اختلاف في المذاهب ـ متّفقون على قرآن عربي واحد، تجمعهم لغة القرآن في صلاتهم وحجّهم وعباداتهم ودعواتهم، وتهدي سلوكهم الاجتماعي، وقد أكد الإسلام تلاوة القرآن في آناء الليل وأطراف النهار. واهتّم به الأوائل من المسلمين فجّزؤوه ثلاثين جزءً كي يتمكّن المسلم من قرآءته في شهر واحد كشهر رمضان المبارك، كما وردت السنة بآداب خاصة لتلاوة القرآن، منها:

١ ـ الطهارة.

٢ ـ الاستعاذة.

٣ ـ البسملة.

٤ ـ التفكّر في معاني القرآن.

٥ ـ القراءة بصوت حسن.

وكان الإمام السجّاد عليه السلام من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار[4]، وفّقنا الله جميعاً لتلاوته والعمل بقوانينه، آمين رب العالمين.

---

(١) رسائل الشهيد الثاني ١: ١٣٠.

(٢) أي سريعاً.

(٣) الوسائل ٦: ٢١٦، ح ٧٧٧١.

(٤) الوسائل: ٦: ٣٠٩، ح ٧٧٥٢.

البر والإحسان

قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[1]

البرّ هو حسن المعاملة والإحسان هو البر عند الإساءة، فهما بمعنى واحد يلازمهنّ الصلاح والصدق والطاعة والنظام.

وهو خلق كريم وسبب مباشر في محو الشقاء وإرساء قواعد الحب والسعادة، وأكّد عليها الإسلام كثيراً. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[2]؛ وذلك أنهما خصلتان تكمّلان الشخصية الإنسانية بكمال الأفراد يكون كمال المجتمعات والدول، والبر لكل إنسان أمر يحبّذه العقل والشرع، فكيف بمن له مزيد عناية بك وله أثر مباشر في سعادتك كالآباء والأمهات والأقارب، فقد اعتبر الإسلام النزول لرغباتهم المشروعة واجباً شرعياً، والخروج عن اطاعتهم عقوقاً، وكذلك من هم أبناء جلدتك من الفقراء والمساكين الذين يعيشون في ضنك من العيش، فإن لهم حق معلوم في مالك، أيّها الغني ـ فالواجب الإنساني عليك أن تدفعهم نحو السعادة والحياة الهانئة، وتضمن بذلك حفظ الطبقة الكادحة عن الثورة والخيانة عليك حيث تقلّ رقابتك، ولا شيء يمنعه سوى الضمير؛ فإن كنت أدّيت حقوقه الإنسانية فسوف يراعي حقوقك الإنسانية، يقول تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾[3]

وقد قرن الإسلام الإحسان بالإيمان بالله، بل كاد يلازمه؛ ذلك أنه واجب إنساني للإنسان، فكما أحسن الله إليك يجب أن تحسن إلى الناس: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾[4]

---

(١) المائدة : ٢.
(٢) الكافي ٢: ١٠٠، ح ٨.
(٣) الإسراء : ٧.
(٤) القصص : ٧٧.

وقد اعتبره من أوثق أسباب الترقي والتقدم الإجتماعي قائلاً: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[١]

فإن فائدة الإحسان تعود أولاً وقبل كلّ شيء إلى المحسن، فيشعر بالطمأنينة والهدوء النفسي فإنه ملأ نفسه فرحتان: فرحة قدرته على الإحسان، وفرحة إسعاد الفقير بأداء الواجب الإنساني الإسلامي نحوالناس.

هذا عدا ما وعده الرحمن قائلاً: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزعٍ يومئذٍ آمنون﴾[٢]

وقال الله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[٣]

وقد عدّ القرآن الكريم بعض الخصال الكريمة من الإحسان والبر، منها:

الصبر: ﴿واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.[٤]

الصبر: ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾.[٥]

الجهاد: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين﴾.[٦]

الإنفاق مما يحب: ﴿لن تنالوا البر حتّى تنفقوا مما تحبّون﴾.[٧]

وعدّ سبحانه وتعالى وجوهاً للبر في قوله: ﴿ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ولكن البر

١ ـ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين.

٢ ـ وءآتى المال على حبّه ذوي القربىٰ واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب.

٣ ـ وأقام الصلاة.

---

(١) لقمان : ٢٢.
(٢) النمل : ٨٩.
(٣) الأنعام : ١٦٠.
(٤) هود : ١١٥.
(٥) المائدة : ١٣.
(٦) العنكبوت : ٦٩.
(٧) آل عمران : ٩٢.

٤ ـ و آتى الزكاة.

٥ ـ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا.

٦ ـ والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس.

أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتّقون﴾[١]

تلك هي النقاط التي تحقق الإحسان والبرّ، وليسا مجرد تراتيل وترانيم فارغة عن الروح وبعيدة عن واقع العمل، بل هما مجموعة خصال ترتبط بصميم الحياة، وهكذا فإحسان والبر غاية ما تصبوا إليه الإنسانية لإقرار السلام في العالم وتعميم الخير والمحبة لجميع الافراد، ونعم ما قيل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم و طالما استعبد الإحسان إنساناً

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «معاونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام».[٢]

٢ ـ الرسول ﷺ: «من كفّ غضبه كفّ الله عنه عذابه، ومن حسّن خلقه بلّغه الله درجة الصائم القائم».[٣]

٣ ـ الرسول ﷺ: «إن الخلق عيال الله، فأحبّ الخلق إلى الله من أدخل على أهل بيت مؤمن سروراً، ومشيه مع اخيه في حاجته».[٤]

٤ ـ الامام علي عليه السلام: «ليكن أحب الناس إليك وأحظاهم لديك أكثر سعياً في منافع الناس».[٥]

٥ ـ الصادق عليه السلام: «إنّ من كان وصولاً لإخوانه بشفاعة في دفع مغرم أوجرّ مغنم، ثبّت

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) مستدرك الوسائل ١٢: ٤٢٢ ح ١٤٥٠٣.

(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٧٦، ح ٢٣٨.

(٤) فقه الرضا عليه السلام: ٣٦٩.

(٥) مستدرك الوسائل ١٢: ٣٩١، ح ١٤٣٨٤.

الله عزوجل قدمه يوم تزلّ فيه الأقدام».(١)

٦ ـ الصادق عليه السلام: «البرّ وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار».(٢)

٧ ـ الصادق عليه السلام: «لان أمشي في حاجة أخٍ لي مسلم أحب اليّ من ان اعتق الف نسمة».(٣)

٨ ـ الصادق عليه السلام: «من لم يمش في حاجة وليّ الله ابتلي بأن يمشي في حاجة عدوّ الله».(٤)

٩ ـ الصادق عليه السلام: «يحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله رحماءَ بينكم متراحمين مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله».(٥)

١٠ ـ الكاظم عليه السلام: «من سرَّ مؤمناً فبالله بدأ، وبالنبي صلى الله عليه وآله ثنّى، وبنا ثلّث».(٦)

من هدى النبوة:

سيرة النبي صلى الله عليه وآله كلها دروس وعبر، وفي اليوم الذي هاجر إلى المدينة وحّد قلوب المسلمين في مشاعرهم وأهدافهم و مسيرهم ومصيرهم، وكان المسلمون فيها فريقين هما: الأنصار وهم أهل المدينة، والمهاجرون وهم أهل مكة النازحون إلى المدينة، وطبيعي أن توجد بينهما الوحشة والغربة ؛ نظراً لما تأصّلت في الأمة الجاهلية من النظام القبلي، فقد سعى صلى الله عليه وآله عملياً في تغييره وإحلال النظام الإسلامي محلّه، وعقد التآخي بين جماعات المسلمين فاختار كل مسلم أخاً له يعيش معه حياة أخويّة صادقة، وتحققّت الأخوّة بين جماعات، فعقد الإخاء بين أبي بكر وخارجة بن زيد، وبين حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة، واختار الرسول صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام أخاً لنفسه.

---

(١) الوسائل ١٦: ١٦: ٣٤٢، ح ٢١٧١٥.
(٢) الكافي ٢: ١، ح ٨.
(٣) الكافي ٢: ١٩٧ ح ٤.
(٤) مشكاة الانوار: ٣٢١.
(٥) الكافي ٢: ح ١٥.
(٦) مستدرك الوسائل ١٢: ٣٩٩، ح ١٤٤٠٩.

حقوق الأخوة الإسلامية

يحدد الإمام الصادق عليه السلام حق الاخوّه في الإسلام في سبع نقاط، قال ابن خنيس سألت أبا عبدالله عليه السلام: ما حق المسلم على المسلم؟ قال عليه السلام: «له سبعة حقوق واجبات، ما منهن حق إلاّ وهو عليه واجب، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته و لم يكن لله فيه من نصيب... إلى أن قال عليه السلام:

١ ـ أيسر حق منها: أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك و تكره له ما تكره لنفسك.

٢ ـ والحق الثاني: أن تجتنب سخطه وتتّبع مرضاته و تطيع أمره.

٣ ـ والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

٤ ـ والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته.

٥ ـ والحق الخامس: أن لاتشبع ويجوع، و لاتروى ويضمأ، ولاتلبس ويعرى.

٦ ـ والحق السادس: إن يكن لك خادم وليس لأخيك خادم، وجب أن تبعث خادمك، فيغسل ثيابه ويصنع طعامه، ويمهّد فراشه.

٧ ـ والحق السابع: أن تبرّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته».[1]

وهكذا يجعل الإسلام الاخاء الإسلامي رابطة متينة في سبيل تكوين المجتمع الفاضل المساهم في الحضارة الإنسانية.

مقياس الفضيلة:

يتحدد مقياس الفضيلة من الوجهة الإسلامية بكلمتين: «أن تحب لأخيك ما تحبّ

---

(١) كتاب المؤمن: ٤٠.

لنفسك»[١] فلا يكمل الإيمان للإنسان المسلم الّا إذا نظر إلى إخوانه من المسلمين كما ينظر إلى نفسه ويعاملهم بمثل ما يحبّ أن يعاملوه به، فيحبّ لهم الخير كما يحبّ لنفسه، ويكره لهم الشرّ والضرر كما يكره لنفسه، وما أدّقه من مقياس عادل لا يحيد، وهذا شرط أساسي في كمال الإيمان حتى يصبح المسلمون أمّة واحدة صفاً كأنّهم بنيان مرصوص، ويسود المجتمع الحبّ والتعاون بعيداً عن الأنانية والأحقاد.

وهذا المقياس الإسلامي والميزان الإنسانى يعاكس تماماً ما عليه المقايس المادية التي تعاني منها الشعوب والأمم، وتقوم على أساسها الدول المستغلّة على حساب الشعوب الضعيفة، وقد حارب الإسلام بكلّ شدّة الاستغلال بكل مظاهره حيث خاطب البشرية جمعاء بقوله تعالى: ﴿يا أيّهاالنّاس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٢]

وقال رسول الله ﷺ: «لا فضل للعربي على العجمى، ولا الأحمر على الاسودبالتقوى».[٣]

وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علّمني عملاً أدخل به الجنة؟. فقال ﷺ: «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فاته إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم».[٤]

ويقول الإمام علي عليه السلام في وصيته للحسن عليه السلام: «اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فلا تظلم كما لا تحبّ أن تظلم، وأحسن كما تحبّ أن يُحسن إليك، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس ما ترضى لنفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك».[٥]

---

(١) الدعوات: للراوندي ٢٢٦.
(٢) الحجرات: ١٣.
(٣) الايضاح، للفضل بن شاذان: ٢٨٢.
(٤) الكافي ٢: ١٤٦، ح ١٠.
(٥) نهج البلاغة ٣: ٤٥، الكتاب ٣١.

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى بعض مصاديق هذا الميزان، كما كان عليه السلام في حياته مثالاً أعلى لهذا المقياس الدقيق حتّى قال عليه السلام: «أقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أوأكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟».(١)

وقد جاء في الحديث النبوي إشارة إلى ثلاثة مصاديق بارزة لهذا الميزان:

١ ـ فعل الخير من دون ملل.

٢ ـ عدم التثاقل على أحد.

٣ ـ عدم المنّ على الناس.

أما فعل الخير، فقد اهتم الإسلام بالخيرات اهتماماً بالغاً، قال تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات اين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كلّ شيء قدير﴾.(٢)

وقال: ﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾.(٣)

وقال الرسول الله صلى الله عليه وآله: «رأس العقل ـ بعد الايمان بالله ـ التودّد إلى الناس واصطناع الخير الى كل برّ وفاجر».(٤)

وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «إن الله يحبّ من الخير ما يعجل».(٥)

وقال علي عليه السلام: «لفعلوا الخير ولا تحتقروا منه شيئاً، فإن صغيره كبير، وقليله كثير، ولا يقولنّ أحدكم: إنّ أحداً أولى بفعل الخير مني، فيكون والله كذلك، إنّ للخير والشر أهلاً، فما تركتموه منهما كفاكموه أهله».(٦)

وقال الباقر عليه السلام: «إذا هممت بخير فبادر؛ فإنك لاتدري ما يحدث».(٧)

أمّا التثاقل على الناس، فهو يوجب الملل فالحقد والعداء، لذلك أوجب الإسلام الرفق

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٧٢، الكتاب ٤٥.

(٢) البقرة: ١٤٨.

(٣) المزمّل: ٢٠.

(٤) عيون اخبارالرضا صلى الله عليه وآله ١: ٣٨، ح ٧٧.

(٥) المعتبر ٢: ٦٢.

(٦) نهج البلاغة ٤: ٩٩، الحكمة ٤٢٢.

(٧) الكافي ٢: ١٤٢، ح ٤.

في الصحبة، قال رسول الله ﷺ: «ما اصطحب اثنان الّا كان أعظمهما أجراً، وأحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه».[١]

وقال ﷺ أيضاً: «لو كان الرفق خلقاً يُرى، ما كان فيما خلق الله شيء أحسن منه».[٢]

وقال ﷺ أيضاً: «إن الله رفيق يحبّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف».[٣]

وقال ﷺ: «المداراة نصف الإيمان، والرفق نصف العيش».[٤]

وقال ﷺ: «أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض».[٥]

وقال علي عليه السلام: «إيّاكم ومعاداة الرجال فإنهم لا يخلون من ضربين؛ من عاقل يمكر بكم، أوجاهل يعجّل عليكم».[٦] وقال عليه السلام:

وليس كثيراً ألف خلٍّ وصاحب ... وإنّ عدواً واحد لكثير[٧]

وقال عليه السلام أيضاً: «إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه».[٨]

وقال رسول الله ﷺ: «أيّما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان الّا كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأيّهما سبق الكلام لأخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب».[٩]

وأما الامتنان بالإحسان فقد قارنه تعالى بالأذى، ووصفه بالبطلان، لقوله: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾[١٠]

---

(١) منتهى المطلب ٢: ٦٤٧ (الطبعة الحجرية).
(٢) الكافي ٢: ١٢٠ ح ١٣.
(٣) مسند احمد ١: ١١٢.
(٤) الكافي ٢: ١١٧، ح ٤.
(٥) الكافي ٢: ١١٧، ح ٤.
(٦) الخصال: ٧٢، ح ١١١.
(٧) امالي الصدوق: ٧٦٦.
(٨) نهج البلاغة ٤: ٤٠، الحكمة ١١.
(٩) نهج البلاغة: ٤٠، الحكمة ١١.
(١٠) البقرة: ٢٦٤.

وقال تعالى: ﴿قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خير من صدقة يتبعها أذى﴾[١]

وهذا نصّ على أنّ الصدقة تبطل بالمنّ، ومعناه أنّ الذي أتى بالصدقة بالرغم من جهده المبذول يكون كمن لم يأت بشيء أصلاً؛ إذ هُو عملٌ باطل.

وهذه الخصال خيرها وشرّها، ليست متأصلة في الإنسان، وإنما تنتقل إلى الإنسان بعوامل خارجية من البيئة والعائلة والمجتمع، فكما أنها انتقلت إلى الفرد بعوامل خاصة كذلك يمكن أن تزول بعوامل خاصّة، فإن التربية لها أثرها في النبات والحيوان والإنسان، وليس شيء من أخلاق الإنسان وعاداته ومعتقداته الّا وهو قابل للتغيّر والتبدّل.

قال ابن مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ هـ): «الخلق حال للنفس يحملها على أداء أعمالها دون فكر وروية، وهذه الحال إما طبيعيّة من أصل المزاج كالغضب لأوهى الأسباب، والفزع من ضعيف الأصوات، والحزن على تافه الأشياء، وإما مستفادة بالعادة والتدرّب حتى صارت ملكة وخلقاً كالشجاعة».[٢]

وبالرغم من اضطراب الفكر الفلسفي في طبيعة الإنسان، وهل هو مجبول على الخير أو الشر؟ فقد انتصر للرأي الأوّل (سقراط) الحكيم الإغريقي (المتوفى ٣٩٩ ق.م).

وانتصر للثاني (فلوطين) الحكيم اليوناني (المتوفى ٢٦٢ ق.م) ولكن النظرية المتوسطة بينهما ما شرحه ابن مسكويه الحكيم الإسلامي بقوله: «الحق إن الإنسان يولد مطبوعاً على قبول الخلق، إذ تراه ينتقل بالتأديب والمواعظ إمّا سريعاً وإمّا بطيئاً؛ لأنّ القول بعدم قبول الخلق يؤدي إلى إبطال قوّتي التمييز والعقل، وإلى رفض السياسات كلّها وترك الناس جمعاً مهملين وإلى ترك الأحداث والصبيان بغير سياسة ولا تعليم، وهذا ظاهرة الشناعة».

وقد يكون هذا واضحاً؛ فإنّ كلّ مولود يولد صحيح البدن ويتكامل على أثر العوامل الخارجية من التربية والتغذية حتى يتكامل إنساناً صحيح الجسم قويّ البدن، وكذلك

---

(١) البقرة: ٢٦٣.

(٢) الاخلاق؛ لابن مسكويه.

يولد صحيح الفطرة وتتكامل النفس بالتربية والتعليم، فالتربية الصحيحة يتأتى أثرها من الصلاح والسعادة فتكوّن العضو الإنساني النافع في المجتمع، وهذا ما يصرّح به القرآن الكريم: ﴿إنّا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾[١]

وقال الله: ﴿وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى وأنّ سعيه سوف يرى﴾[٢]

وقال أيضاً: ﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها﴾[٣]

والناس جميعاً سواء في هذه الطبيعة، كلّهم من آدم عليه السلام وآدم من تراب، ولا فضل لإنسان على إنسان ولا لشعب على شعب ولا لسلالة على سلالة الّا بالعلم والعمل والتقوى بالتربية الفكرية والجسمية والوقاية من مزالق الإنحراف والفساد، وهذا ما يشير إليه الإمام علي عليه السلام بقوله:

الناس من جهة التمثال أكفاء ... أبوهم آدم والأُمّ حواء

فإن يكن لهم من أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء[٤]

---

(١) الانسان: ٣.

(٢) النجم: ٣٩.

(٣) الشمس: ٧ ـ ١٠.

(٤) حاشيه ردّ المحتار؛ لابن عابدين ١: ٤٣.

حدود الشريعة

يؤكد الإسلام على إعطاء الإنسان الحرية الكاملة في شتى مجالات الحياة من العقيدة والعلم والعمل مع شرط واحد فقط هو (أن لا يتعدى على حقوق الآخرين) وهي تطابق تماماً القوانين الوضعية (من الحرية في حدود القانون) وهذا ما يشير إليه الحديث النبوي: «وأن تكون الدنيا عندك سجناً».[1] ذلك أن مراعاة حقوق الآخرين تفرض على حرية الإنسان في الدنيا قيوداً لا يجوز تخطّيها في الشريعة الإنسانية، ويظهر ذلك جلياً في تشريعات الإسلام المختلفة، وأهم هذه الحقوق هي:

١ ـ حق الحياة.

٢ ـ حرية الإرادة.

٣ ـ حرية العمل.

وأما ما يستلزمها من التعليمات، فقد قرّر الإسلام أن ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾[2]، وكذلك أولى اهتماماً بالحصانة في الحياة ما لم تستلزم التعدي على حياة الآخرين: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أُولي الألباب لعلّكم تتّقون﴾[3]

وأعطى الإنسان حريته الكاملة في الإرادة: ﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ﴾[4]

---

(١) انظر الحديث في أول الكتاب.

(٢) المائدة: ٣٢.

(٣) البقرة: ١٧٩.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

وقال الله: ﴿إنا هدينا السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾[١]

ولم يكلف الكفّار الذميين بشيء من تعاليم الإسلام الاّ في حدود المصلحة العامة وقاوم الإكراه والعنف في مختلف صوره وأساليبه، قال تعالى: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[٢]

وكذلك أعطى حرية العمل لكافة البشر ـ ذكوراً وإناثاً ـ فقال تعالى: ﴿أنّي لا أُضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أوأنثى﴾[٣]

ودعى إلى التساوي الكامل بقوله: ﴿يا أيّها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم﴾[٤]

والقوانين الوضعية تقرّ هذه الحقائق بعد تفكير بشري محدود بعالم المادة والماديات، ولكن الدين الاسلامي سبقها، لأن الدين أمر غريزي للإنسان فيه إصلاح الناس جميعاً وهوالفطرة الإنسانية التي أشار إليها القرآن الكريم في مختلف الآيات ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾[٥]

ولما كان الفكر البشري يتطوّر من حالة إلى أخرى أرقى شأناً ـ كما هو شأن كلّ المخلوقات في سيرها التكاملي ـ بعث الله أنبياء وشرّع شرائع تطابق هذا التطور الفكري ﴿لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل﴾[٦]

وكانت روح الشرائع واحدة تهدف الى تهذيب الإنسان في الحياة الفاضلة، قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصيّنا به إبراهيم وموسى

---

(١) الإنسان : ٣.
(٢) يونس : ٩٩.
(٣) آل عمران : ١٩٥.
(٤) الحجرات : ١٣.
(٥) الروم : ٣٠.
(٦) النساء : ١٦٥.

وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرّقوا فيه﴾[١]

والإسلام آخر الشرائع الإلهية التي به كمالها في سيرها التكاملي، كما أتمّ به كمال التشريع الإسلامي بقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[٢] وقد حدّد تاريخ نزوله في ١٨ / ذي الحجة / سنة ١٠ هـ

وقد تكفّلت الشريعة الإسلامية لأحكام الحياة كلّ ما فيه الخير والصلاح للإنسان منذ أن يولد ويتعهده الوالدان بالتربية وفق أصولها إلى أن يفارق الحياة، من التشريعات التي تتكفل كرامة الإنسان والإنسانية، كما شرط في كافة تشريعاته شروطاً إنسانية عادلة، هي:

١ ـ البلوغ، فلا تعمّ الصبي.

٢ ـ والعقل، فلا تعمّ المجنون.

٣ ـ والرشد، فلا تعمّ السفيه.

٤ ـ والاختيار، فلا تعمّ المكره.

٥ ـ والقصد، فلا تعمّ الساهي.

٦ ـ ونفي الضرر والغبن.

٧ ـ والقدرة، فلا تعمّ العاجز؛ فإنه ﴿لا يكلّف الله نفساً إلّا وُسعها﴾[٣]

وهذا السماح واليسر من الإسلام أصل هام يترتّب عليه فروع كثيرة في حياة الإنسان المسلم، فيسقط الواجب الديني في حالة الحرج إلى بدلٍ أو مطلقاً.

وقد استوعبت الشريعة الإسلامية تنظيم حياة الإنسان من مختلف الوجوه في الجانب الروحي المتمثل في علاقة الإنسان بربه، أي (العبادات)، والجانب الاجتماعي المتمثل في علاقة الفرد بالمجتمع أي (الأخلاقيات)، والجانب الاقتصادي المتمثل في علاقة الفرد

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) المائدة ٣.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

بالفرد (المعاملات).

هذا، بالإضافة إلى تشريعاته الأخرى في الأحوال الشخصية والعقوبات والعلاقات الإدارية من الولاية والحسبة وغيرها مما يسلكه الإنسان المسلم في منهاجه اليومي والأسبوعي والسنوي.

وقد اعترف كبار الفلاسفة ورجال القانون بأصالة الإسلام وعدالته في تشريعاته المتكفلة لسعادة الإنسان، كل حسب طبيعته من دون تفريق في الجنس أواللون أوالنسب.

وقد اعترف بذلك في المؤتمر الدولي للقانون الذي تمّ عقده في مدينة (لاهاي) في شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ م، وقرّر بوضوح أنّ الشريعة الإسلامية لم يتأثّر بالقانون الروماني بل هي شريعة مستقلّة قائمة بذاتها.

ويكفي دليلاً على واقعية الإسلام أنه وإن دخل بالقوّة ولكن الشعوب ـ من عرب وفرس وترك وغيرها ـ لمّا عرفت واقعية الإسلام وصلاحيته للحياة اعتنقوه من صميم القلب، وجعلوه دستورهم في الحياة القانونية والمدنية، ولم تعد داعية إلى الحياة الجاهلية قبل الإسلام، وليس ذلك نابعاً الّا من واقعية هذا الدين وصلاحيته وخلوده وتأمينه للحياة الأفضل.

قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[1]

---

(١) المائدة: ٣.

The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

614-30-40